

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

كلية العلوم الاجتماعية

علم اجتماع المؤسسات

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس

من إعداد: الأستاذة بن توتة بشيرة



السنة الجامعية 2023 - 2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

كلية العلوم الاجتماعية

علم اجتماع المؤسسات

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس



من إعداد: الأستاذة بن توتة بشيرة

السنة الجامعية 2023 - 2024

عرض التكوين

السداسي الخامس

وحدة التعليم الأساسية

المادة: علم اجتماع المؤسسات 1

الرصيد: 05

المعامل: 03



أهداف التعليم: إطلاع الطالب على أهم المؤسسات الاجتماعية كالأ أسرة التربية والدين، السياسة والاقتصادية والتعرف على مختلف المقاربات السوسيولوجية التي حللت المؤسسة كنسق الاجتماعي كالوظيفية والصراعية، والتفاعلية الرمزية.

المعارف المسبقة: ضرورة إطلاع الطالب على مختلف المعارف العلمية السوسيولوجية حول المؤسسات الاجتماعية، والمفاهيم الخاصة بهذا الحقل العلمي والمشاركة مع الكثير من التخصصات الأخرى

المحتويات

9.....مقدمة:

المحور الأول : مدخل مفاهيمي

15 أولا: مفاهيم عامة:

19 ثانيا: أثار ومفعول المؤسسة:

المحور الثاني : ماهية المؤسسة الاجتماعية

33 أولا: تعريف المؤسسة الاجتماعية:

36 ثانيا: أنواع المؤسسات الاجتماعية:

37 ثالثا: أهمية المؤسسات الاجتماعية:

38 رابعا: وظائف المؤسسات الاجتماعية:

38 خامسا: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الاجتماعية:

41 سادسا: مفاهيم خاصة بالمؤسسة:

المحور الثالث : مؤسسة الأسرة

45 أولا: تعريف مؤسسة الأسرة:

52 ثانيا: التطور التاريخي لدراسات الأسرة:

53 ثالثا: أنواع المؤسسات الأسرية:

55 رابعا: مقومات الأسرة:

56 خامسا: وظائف الأسرة:

61 سادسا: الاتجاهات النظرية لمؤسسة الأسرة:



المحور الرابع : المؤسسة الاقتصادية

- 77 أولا: مفهوم المؤسسة الاقتصادية في الاتجاهات النظرية:
- 79 ثانيا-أهداف المؤسسة الاقتصادية:
- 80 ثالثا: المقابلة الاقتصادية كشكل من أشكال المؤسسة الاقتصادية:
- 81 رابعا: تصنيف المؤسسات:
- 82 خامسا: مراحل تطور المؤسسة الجزائرية:
- 84 سادسا: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الاقتصادية

المحور الخامس : المؤسسة التربوية والتعليمية

- 109 أولا: ماهية المؤسسة التربوية والتعليمية:
- 109 ثانيا: وظائف المؤسسات التعليمية والتربوية:
- 110 ثالثا: الأدوار الاجتماعية الثلاثة للمدرسة:
- 110 رابعا: تصنيف المؤسسات التربوية والتعليمية:
- 112 خامسا: علم الاجتماع التربوي:
- 119 سادسا: الاتجاهات النظرية في تحليل المؤسسة التربوية والتعليمية:

المحور السادس : المؤسسة السياسية

- 137 أولا: تعريف المؤسسة السياسية:
- 139 ثانيا: أنواع المؤسسات السياسية:
- 142 ثالثا: وظائف المؤسسة السياسية:
- 143 رابعا: الاتجاهات النظرية في تحليل المؤسسة السياسية:
- 152 خامسا: الدولة كأهم مؤسسة سياسية غايتها ومشروعيتها:

المحور السابع : المؤسسة الدينية

- 163 أولا: تعريف المؤسسة الدينية:
- 168 ثانيا: أنواع المؤسسات الدينية:
- 168 ثالثا: وظائف المؤسسة الدينية:
- 169 رابعا: تعريف علم الاجتماع الديني:
- 169 خامسا: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الدينية:
- 183 خاتمة:
- 185 قائمة المراجع:



مقدمة:

يعمل المجتمع ويتحرك من خلال النظم والمؤسسات التي أوجدها وشكلها ومازال يشكلها منذ القدم لأنها الوحيدة التي تلبي وتحقق الحاجات الإنسانية، من الحاجة الطبيعية للارتباط مع الآخر، ومشاركته الوجدانية والعاطفية إلى التطيع بنفس الاخلاق والاتجاهات والعقائد، الي الحاجة إلي الثقافة والتعلم، وحتى يضمن المجتمع العدالة والمساواة في توزيع الموارد ومصادر العيش لا بد من وضع الشرائع والقوانين وضوابط تقوم بها سلطة مخولة تنظم الشأن العام وتضبط السلوكيات الانسانية لاستتباب الامن والسلام، والانسان في سعيه الدؤوب لتحدي الصعاب و المشكلات الوجودية لا بد له من مصدر اعلي من كل المصادر ليجد المعني الاسمي لحياته ولا يجده الا في الدين و المعتقدات ونظم الايمان للشعور بالأمان والسلام والثقة والابتعاد عن القلق والمخاوف الدنياوية، ولا يضمن هذه الحاجات الا مؤسسات منظمة ومرتبة لتحقيق هذه الاغراض، والتي يجمع علماء الاجتماع على انها خمس مؤسسات أساسية وهي مؤسسة العائلة، الاسرة، التربية، الدين، السياسة والاقتصاد.

بدأ الاهتمام السوسيولوجي بالمؤسسة في بدايات ظهور علم الاجتماع، واجتهد العلماء في تحليل و تفسير المؤسسة الاجتماعية من المقاربات الكلاسيكية الى التفسيرية الى غاية المقاربات الحديثة، و هذا وفق سياق تاريخي و مواكبتها لكل التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي شهدتها أغلب المقاربات و المدارس الفكرية، و يرتبط تباين المقاربات السوسيولوجية في تفسير مفهوم المؤسسة بتباين الأطر المرجعية و المقاربات المنهجية و السياقات الاجتماعية، وكوننا درسنا طلبة السنة الثالثة علم الاجتماع، مقياس علم اجتماع المؤسسات بقسم علم الاجتماع كلية العلوم الاجتماعية للسنة الدراسية 2023-2024 كان اختيارنا لإعداد هذه المطبوعة في مقياس علم اجتماع المؤسسات، و التطرق

أما الفصل الثاني قد خصصناه لماهية المؤسسة الاجتماعية من حيث تعريفها أنواع المؤسسات الاجتماعية أهم وظائفها إلى جانب الوقوف على خصائصها وتسليط الضوء على أهم المقاربات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة التي تناولتها بالدراسة والتحليل.

فحين تناول الفصل الثالث خصصناه للمؤسسة الأسرية التي تعتبر من أقدم وأهم المؤسسات الاجتماعية بحيث تم التركيز على مراحل تطورها التاريخي على جانب التعريف بخصائصها أنواعها وأهم وظائفها ومقوماتها، مع عرض أهم المقاربات السوسيولوجية التي تناولت موضوع الأسرة من الاتجاه الوظيفي إلى الاتجاه الصراعى مروراً بالاتجاه التفاعلي الرمزي.

وقد خصصنا الفصل الرابع إلى المؤسسة الاقتصادية أين تم تحديد أشكال وأنواع المؤسسات الاقتصادية مع عرض لأهم المحطات التي مرت بها المؤسسة الاقتصادية الجزائرية في تطورها من مرحلة التسيير الذاتي إلى مرحلة إعادة الهيكلة والخصوصية مع التطرق لأهم المقاربات بنوعيتها السوسيولوجي ونظريات الفكر التنظيمي وعرض المراحل التي عرفها التراث التنظيري التنظيمي من مرحلة سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة مروراً بسوسيولوجيا التنظيمات.

وتطرقنا في الفصل الخامس للمؤسسة التربوية والتعليمية مع تسليط الضوء على مختلف أشكالها والأدوار الاجتماعية الثلاثة للمؤسسة التربوية والتعليمية وتصنيفها وعرض لأهم الاتجاهات النظرية السوسيولوجية التي اهتمت بتحليله وتفسيرها من الاتجاه الوظيفي والمنظور الصراعى والاتجاه المؤسسي ومنظور النوع الاجتماعي للمؤسسة التربوية.

وتناول الفصل السادس المؤسسة السياسية من حيث تعريف نظام الحكم والدولة وأهم مؤسساتها وعرض تطورها التاريخي من مفهوم السياسة في الفلسفة والفكر اليوناني مروراً بالمرحلة الدينية ثم مرحلة النهضة إلى ظهور مفهوم العقد الاجتماعي والدولة المدنية مع فلاسفة عصر التنوير والحديث والتطرق لمفهوم الدولة كأهم وأكبر المؤسسات السياسية مع تحديد مشروعاتها وغاياتها.

أما الفصل السابع والأخير فقد ركزنا فيه على المؤسسة الدينية وأهم المقاربات والاتجاهات النظرية الكلاسيكية من إميل دوركايم إلى ماكس فيبر مروراً بكارل ماركس ونظريات الجيل الثاني من البنائية لتالكوت بارسونز إلى بيار بورديو.

المحور الأول:

مدخل مفاهيمي

المحور الأول: مدخل مفاهيمي

أولاً: مفاهيم عامة:

1. تعريف المجتمع

هو مجموعة من الأفراد يعيشون في نفس الحيز أو المجال أو الأرض، ويعيد إنتاج نفسه من خلال التزاوج والتناسل، ويشارك أفرادها في مجموعة من القيم والمعتقدات والأعراف والمعايير المحددة للسلوك.¹

2. تعريف المجموعة:

تشكل من فردين أو أكثر يشكلون نظام من العلاقات والتفاعلات لتحقيق قدر من المشاركة والأهداف الوجدانية والعاطفية والمادية والروابط الاجتماعية.²

3. تعريف النظام الاجتماعي:

يشير إلى الطريقة التي تعمل بها مختلف مكونات المجتمعات من الهياكل والمؤسسات الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، التفاعل الاجتماعي والسلوك والجوانب الثقافية مثل الأعراف والمعتقدات والقيم، لإحلال التوازن والاستقرار والحفاظ على منظومة القيم والمعايير الأساسية المحددة للسلوك، إلى جانب إشباع حاجات الأفراد والجماعة وضمان استمرار البناء.³

- خصائص النظم:

- ✓ تؤدي مجموعة من الوظائف "إشباع الحاجات".
- ✓ تخضع لقواعد وأحكام مقننة تضبط السلوك طوعاً أو بالجزاءات.
- ✓ تتضمن سلوكيات استغرق المجتمع مدة زمنية طويلة ليعترف بها.
- ✓ تنسم بالتعقيد لتضمنها شبكة من العلاقات والأحكام والسلوكيات المترابطة.
- ✓ ترتبط وظيفياً ببعضها وتتداخل وتتكامل فيما بينها.
- ✓ تتكون من مجموعة من العناصر (هدف أساسي وأهداف فرعية، نماذج سلوكية محكومة بقواعد معينة، جوانب رمزية وأخرى مادية، مجموعة من التقاليد الشفهية والمدونة).⁴

¹ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1982، ص 214.

² نفس المرجع، ص 216

³ نفس المرجع، ص 245

⁴ نفس المرجع، ص 246

- تصنيف النظم الاجتماعية:

هناك أربع نظم أساسية: نظام الأسرة، النظام، الاقتصادي، النظام السياسي والنظام الديني.

- أهمية دراسة النظم الاجتماعية:

- ✓ هي عناصر أساسية في تكوين البناء الاجتماعي للمجتمع.
- ✓ هي أساليب المجتمع لمواجهة احتياجاته.
- ✓ تفيد في الدراسات المقارنة بين المجتمعات.
- ✓ تفيد في دراسة المشكلات باعتبار أن المشكلات تنتج عن اختلال في وظائف النظم.

- وظائف النظم:

- ✓ اشباع الحاجات الإنسانية، فمثلاً الأسرة تشبع حاجات الفرد اقتصادياً ودينياً وتربوياً.
- ✓ تيسر العمل للفرد بتنظيم المظاهر السلوكية التي تجعل الفرد ينتقل من مستوى إلى آخر متجهاً إلى هدف معين.
- ✓ تحدد للفرد مركزه الاجتماعي والدور الذي يقوم به.
- ✓ تعمل على انسجام الفرد في الإطار الثقافي العام للتكيف.
- ✓ تعتبر من عوامل التوفيق بين الأجزاء المختلفة للحضارة ككل، مثال النظام الأسري يرتبط بالنظام الاقتصادي السائد في المجتمع سواء كانت مجتمعات رعوية أم زراعية أم صناعية.¹

- الأسرة كنظام اجتماعي:

هو مجموعة القيم والضوابط التي تحدد طبيعة الأسرة ومكوناتها ووظائفها وعلاقاتها وأشكال تكوينها وتنظيمها، ويكون النظام الأسري النواة الأولى للنظام الاجتماعي وجزئاً لا يتجزأ عنه.

- المدرسة كنظام اجتماعي:

النظام التربوي هو مجموعة من العمليات التي توجه بوجه خاص لنقل المعرفة والمهارات والقيم بطريقة رسمية نظامية كما يحدث في التعليم وبطريقة غير رسمية، ويهدف إلى إعداد الأفراد منذ طفولتهم كي يصبحوا أعضاء فعالين ومشاركين بإيجابية في المجتمع، والنظام التربوي أكثر شمولاً في مضامينه من النظام التعليمي، فالنظام التربوي نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي

¹ المرجع السابق، ص 247.

في إعداد وتنشئة النشء من خلال وسائل ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية تكوين الفرد وتهيئته من الناحية الجسمية والعقلية والأخلاقية ليصبح عضو فاعلاً في مجتمعه.

- المقالة كنظام اجتماعي:

النظام الاقتصادي ينظم العلاقات بين الناس في عملية إنتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك السلع المادية، يهدف إلى معالجة ثلاثة أسئلة مترابطة: ماذا ننتج (ما هي السلع والخدمات)؛ كيف يتم لإنتاج (على أساس التكنولوجيا وبمساعدة أي موارد)؛ من أجل من لإنتاج (لمن تستهدف هذه السلع والخدمات). الوظيفة الأساسية للنظام الاقتصادي هي التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة وتلبية الاحتياجات والمصالح المادية لأفراد المجتمع، وكلما ارتفع مستوى التنظيم الاقتصادي للمجتمع كلما ارتفعت درجة تكيفه وبالتالي كفاءة الأداء، والتي تظهر بوضوح اليوم من قبل معظم الدول الصناعية المتقدمة.

- المؤسسة السياسية كنظام اجتماعي:

النظام السياسي ينظم العلاقات المتعلقة بإنشاء وتنظيم وعمل وتغيير السلطة العامة، تتكون العناصر الرئيسية للنظام السياسي من الدولة ومؤسساتها التنفيذية، والمؤسسات التشريعية، والأحزاب والحركات السياسية إلخ، كما تشمل الهياكل المعيارية القيمية التي تنظم التفاعلات السياسية، الجهات الفاعلة، ووسائل الإعلام، التي توفر العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني. تتمثل الوظيفة الرئيسية للنظام السياسي في ضمان النظام الاجتماعي والاستقرار والتكامل في المجتمع، وتعبئته لحل المهام والمشاكل الحيوية.

- المؤسسة الدينية كنظام اجتماعي:

النظام الديني الروحي يوجه النشاط على إنشاء وتطوير وتنمية القيم الثقافية والروحية والأخلاقية التي تحدد وعي وسلوك الشخص، تشمل العناصر الهيكلية الرئيسية للمجال الروحي العلم والتعليم والتربية والأخلاق والأدب والفن والدين، وتتمثل الوظائف الرئيسية لهذا النظام الفرعي في التنشئة الاجتماعية للفرد، وتعليم وتربية جيل الشباب، وتطوير العلوم والثقافة، وإعادة إنتاج البيئة الاجتماعية والثقافية للحياة.¹

¹ بودون.ف.بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 476.

4. تعريف سوسيولوجيا المؤسسة:

هو تحليل ودراسة المؤسسة من المنظور السوسيولوجي وذلك باستخدام النظريات وكل الأدوات التصورية والمفاهيم والمعارف العامة لفهم وتحليل تفاعل عناصر نسقها الاجتماعي وضبط علاقتها مع محيطها الاجتماعي، مع التركيز على أهم الظواهر والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بها، والتعرف على أهم العلماء والباحثين وإسهاماتهم النظرية في هذا المجال.¹

ثانيا: أثار ومفعول المؤسسة:

1- تعريف السلطة :

هي الحق الرسمي والقانوني للتأثير في الآخرين، من خلال اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والتوجيهات بما في ذلك الجزاء والعقاب، أو هي القوة الشرعية التي تجعل المرؤوسين يعتقدون بضرورة الامتثال لها، وهي القدرة على توجيه وتصويب سلوك الأعضاء ضمن قوانين التنظيم وتوجيهها نحو أهداف تلك العملية التي تستهدف التأثير في الآخرين وقياداتهم من خلال مجموعة من الوسائل وهي القدرة، الشرعية والكفاءة.²

- مفهوم السلطة عند فيبر.

ترتكز البيروقراطية عند فيبر وتتغرز عن طريق السلطة وللمسير الحق في فرض القوانين والأوامر وهي قوة التأثير في الآخرين وكما سماها العنف المشروع، والتي تتمثل في الهيئة القادرة على تحقيق الصلة بين الرؤساء والمرؤوسين ووضع نماذج السلطة، وقد قسم فيبر مراحل تطور المجتمعات حسب مؤهلات شاغلي الوظائف القيادية أي السلطة وقسمها إلى ثلاث مراحل هي³:

- مرحلة السلطة التقليدية: بدائية تستمد شرعيتها من الجاه والنسب والوراثة ويكون فيها

الأداء غير كفء وبيدائي، تقوم السلطة التقليدية في المجتمعات على أساس الاعتقاد في مبلغ القوة وقديسية العادات والأعراف السائدة. ويرتبط هذا النمط بالمجتمعات الشرقية، في حين عرفته أوروبا في العصور الوسطى (الإقطاع).

إن المعتقدات التي سادت منذ زمن طويل وشكلت قواعد أضفت الشرعية على الحكام التقليديين وعززت هيمنتهم وتميز مكانتهم. يكون للقائد أو الزعيم في ظل هذا النمط من السلطة، شخصية مطلقة تصل إلى

¹ المرجع السابق، ص 456.

² محمد المهدي بن عيسى: "علم اجتماع التنظيم: من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة، ط 1، مطبعة impaplast ، الجزائر، 2010م، ص 238.

³ نفس المرجع، ص 246.

حد الاستبداد، ويدين له كل أعضاء المجتمع بالطاعة والولاء. تقتزن الشرعية بالمكانة التي يحتلها أولئك الذين يشغلون المراكز الاجتماعية الممثلة للسلطة التقليدية، ويعتمد الزعيم أو القائد في إصدار الأوامر على المكانة الوراثية، وتعتبر أوامره هذه على رغبات شخصية للقائد أو الزعيم، تتسم بالطابع التحكيمي وإن بقي ذلك في إطار وحدود التقاليد والعادات المقبولة، ويرجع ولاء الأفراد وطاعتهم لاحترامهم للمكانة التقليدية/قبولهم وقناعتهم بشرعية الذين يمارسون السلطة التقليدية، ويندرج في إطار هذا النمط ثلاثة أنماط فرعية:

النمط الأبوي:

- ✓ يسود في المجتمعات التقليدية البدائية.
- ✓ سيادة منطق الأب في التعامل مع الأبناء (السلطة المطلقة).
- ✓ حق الأمر والنهي دون مراجع، والطاعة والالتزام من دون مناقشة.
- ✓ العلاقة بين القائد والمجتمع علاقة شخصية مباشرة.
- ✓ لا وجود لأي أجهزة بيروقراطية أو تنفيذية.

النمط الرعوي القبلي العشائري:

- ✓ تأخذ العلاقة بين القائد وأفراد المجتمع طابع سلطة شيخ القبيلة أو زعيمها.
- ✓ تنسج هذه العلاقة عبر شبكة معقدة بين البيروقراطيين الموالين للقائد.
- ✓ يعتمد في تقديم حكمه على أسلوب توزيع الغنائم على الموالين.
- ✓ يحتكر الزعيم وإدارته الثروة في المجتمع، وكذا يوزع المكنات.

النمط الإقطاعي:

- ✓ هو النمط التقليدي للسلطة الذي ساد في أوروبا في المرحلة الإقطاعية.

- **مرحلة السلطة الكارزمية:** أو السلطة الملهمة، تبرز قيادات فردية تتمتع بخصائص ومميزات شخصية جذابة، وصفات قيادية خاصة، وتلقاها الجماهير ليس لأسباب موضوعية بل تأثرا وإعجابا بشخصيتها.
- **مرحلة السلطة القانونية:** وهي مرحلة البيروقراطي أو السلطة العقلانية وهي التي تستمد شرعيتها من القانون، وفي الدول الحديثة الديمقراطية، يمارسونها وفقا للقانون، وهي التي كان لها الاهتمام الأكبر و يختلف هذا النمط عن النمطين السابقين، حيث تركز سلطة الفرد على أساس مجموعة القوانين والأنظمة التي تحظى بقبول بين أفراد وبالتالي تكتسب شرعيتها منها، فعلى سبيل المثال الموظف في الجهاز البيروقراطي الذي تم اختياره وفق

معايير موضوعية فسلطته وصلاحيته التي يمارسها على المرؤوسين في المنظمة نابع من موقعه في الهيكل التنظيمي (الوظيفة التي يشغلها).

أما السوسيولوجيان " فرانز ورافين " فيقترحان خمسة مصادر يستعين بها القائد للتأثير في الآخرين¹.

- السلطة القائمة على الإكراه:

في هذه الحالة يلجأ الرئيس إلى القوة والضغط والتهديد والعقاب لإجبار الأفراد داخل المؤسسة لأداء المهام، فيمكن أن يستعمل الرئيس هذا النوع من السلطة من خلال تهديد الأفراد بالفصل، التقليل من الأجر أو الحرمان من المكافأة، وهذه الوسيلة تؤدي إلى خلق جو من عدم الثقة بين المرؤوسين ورؤيسهم، والذي يؤدي إلى الإحباط وظهور الروح العدوانية في العمل.

- السلطة القائمة على المكافأة:

من يمنح الأشخاص أشياء يرغبونها تكون لديه سلطة عليهم، ويتم هذا من خلال المكافأة والعلاوات والترقيات، فالمكافأة تعتبر حافزا هاما لشحن دافعية الأفراد للعمل فهي تشبع حاجاتهم المادية وتؤثر على ميولهم وسلوكهم بالشكل الذي يساعد على تحقيق الأهداف.

- السلطة القائمة على الخبرة:

هي قدرة الشخص على التأثير في سلوك الآخر بما يتمتع به من خبرة وكفاءة مهنية وفنية.

- السلطة الملهمة :

تستمد هذه السلطة شرعيتها من الصفات القيادية والسمات الخارقة للعادة يتمتع بها بعض الأفراد المميزون، فينصاع ويمتثل الأفراد لأوامرهم وتعليماتهم ليس لاعتبارات موضوعية بل لصفات جذابة في شخصيتهم².

- السلطة الشرعية:

هذا النوع من السلطة يستمد شرعيته من القوانين والنصوص التنظيمية، ويمكن تتبع مسارها من خلال الهيكل التنظيمي، وهي مرتبطة بالوضعية والمركز الوظيفي بمجرد أن يغادر العامل أو الموظف منصبه فيفقد هذه السلطة.

¹ C.Ballé , la socologie des organisation, paris,puf- que sais je ?1990,P 89.

² سليمان حنفي محمود: وظائف الإدارة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفتحي، دت، ص 123.

2. مفهوم الاحتكار:

إن ظهور فكرة الاحتكار يعود إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، إذ ساهم انتشار الفكر الاقتصادي الحرفي بأوروبا إلى تفعيل دور الاحتكار للتحكم في سوق لتوفير الحماية الكاملة للمشروعات الجديدة المستحدثة، والتي ساهمت في تقديم أفكار لمنتجات وخدمات لم تكن معروفة لكافة الناس، وهذا ما أسس لأن تكون هذه المشاريع محتكرة للسوق الذي توجد فيه، ومتخصصة لتقديم الخدمة أو سلعة للفئة المستهدفة منها.

الاحتكار هو "سيطرة شخص أو مجموعة من الأشخاص على إنتاج سلعة أو تقديم خدمة معينة يحتاجها الأفراد أو الجماعات بحاجة ماسة، والمحتكر للسلعة أو الخدمة هو الذي يحدد سعر وكمية ونوعية الإنتاج والمكان الذي ترسل إليه السلعة بغرض بيعها أو تصريفها، والأفراد الذين تقدم إليهم الخدمة التي يحتكرها صاحبها أو عارضها"¹

وتكون الاحتكارات على أشكال مختلفة نذكر منها:

- الاحتكارات الطبيعية:

يرجع هذا النوع من الاحتكارات إلى وجود كميات محدودة من المواد الأولية في مناطق جغرافية معينة ذات مواصفات ملائمة لإنتاج ما وكمثال لهذه المواد الأولية كاحتكار كندا لإنتاج مادة النيكل.

- الاحتكارات الاجتماعية:

وتظهر هذه الاحتكارات لما تسيطر دولة على تقديم بعض المصالح أو الخدمات المهمة لأبناء الشعب كالسكك الحديدية والطيران والكهرباء والغاز... الخ، وهدفها هو تحقيق الصالح العام وتلبية احتياجات المواطنين وليس هدفها الربح .

- الاحتكارات الشرعية:

وتتمثل في براءات الاختراعات والعلامات التجارية والمؤلفات والأبحاث العلمية والأدبية، ويسيطر المخترعون وأصحاب الأماكن التجارية والباحثون والمؤلفون على هذه الاحتكارات بحكم التشريعات القانونية التي تدافع عن حقوقهم، وهذا الاحتكار يشجع الأفراد على المضي قدماً نحو لإبداع والاختراع والابتكار والذي يؤدي إلى تنمية المجتمع وتطويره .

¹ أحمد إبراهيم علي الوتري: النظام الفيدرالي بين النظرية والتطبيق، مكتبة التفسير، أبريل، 2008، ص 156.

- الاحتكارات الاختيارية:

وهذه الاحتكارات تظهر للعيان بعد ما يتم دمج المصالح والشركات والمصانع الصغيرة مع بعضها البعض ليتم التخلص من المنافسة القاتلة التي قد تقع بينها.

- الاحتكارات الخاصة بالخدمات:

تتمثل هذه الاحتكارات ببعض الخدمات المهنية والوظيفية والفنية النادرة التي يقدمها بعض المهنيين لأبناء المجتمع كالخدمات التي يقدمها جراحو القلب من الأطباء للمواطنين، وخدمات المهندسين المعماريين، وخدمات أساتذة الجامعة.

3. مفهوم الحكم الذاتي:

منذ ستينيات القرن الماضي أخذ مفهوم " الحكم الذاتي " يتراجع أمام مبدأ " حق تقرير المصير " الذي أصبح هدف حركات التحرر في بلدان العالم الثالث.

تنطوي فكرة الحكم الذاتي على مدلولين، مدلول دولي ومدلول على المستوى الداخلي " ففي مجال القانون الدولي العام يقصد بالحكم الذاتي عند إطلاقه باعتباره صيغة للحكم تطبق على الأقاليم أو مناطق معينة تتوفر فيها كل مقومات الدولة التي تتمثل في إقليم، سلطة وسياسة ولكنها تبقى تحت سيطرة وحكم الدولة المستعمرة، بحيث لا تتمتع بالسيادة الخارجية، فهذه الصيغة اتخذتها الدولة الاستعمارية المحتلة كوسيلة لتحديد العلاقة بينها وبين مستعمراتها، ومن ثم هي مستقلة إدارياً ومالياً دون أن تكون مستقلة سياسياً.

أما مدلول الحكم الذاتي على المستوى الداخلي فعرفه البعض على أنه " مباشرة جمهور الشعب لسلطته في مختلف الميادين " ¹

وعرفه الآخرون بأنه " نظام لا مركزي يقوم على الاعتراف بجزء معين من إقليم الدولة بالاستقلال الذاتي ضمن رقابة وإشراف الدولة. " ²

وعرف أيضاً على أنه " صيغة متطورة من اللامركزية الإدارية تقوم بموجبها الدولة وضمن وحدتها القانونية والسياسية بالإقرار لجماعة أو قومية دينية أو لغوية أو ثقافية معينة ببعض السلطات التشريعية والإدارية ولكن تحت رقابة الدولة وإشرافها. " ³

¹ عبد الحميد متولي: الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة، القاهرة، 2007، ص 145.

² حميد الساعدي: مبادئ القانون الدستوري، وتطور النظام السياسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، 1990، ص 56.

³ محمد عمر مولود: الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي (العراق كنموذج)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009، ص 109.

4. مفهوم الشرعية:

يثير المفهوم قدراً واضحاً جلياً من الاختلاف والالتباس بين المفكرين والباحثين المتخصصين، فالشرعية مشكلة مربكة عند الجميع عدا المنظرين الذين يرون السلطة في اعتمادها على القوة اعتماداً أساسياً، فالخلاف بين المفكرين والباحثين لا يعكس اختلافاً حول مضمون المفهوم بقدر ما يعكس اختلاف توجهاتهم حول الهدف من دراسة الشرعية، فهي تكمن في المصدر، والمصدر يجب أن يعد شرعياً، فتغير المصدر المقبول للشرعية في نظر المجتمع وأفراده يرتبط بعوامل وأسباب كثيرة منها ما هو اجتماعي، ديني، اقتصادي، فلسفي والقيمي، إن التباين في ثقافة كل مجتمع عن الآخر يحتم تباعاً التباين في أسس ومصادر قيام السلطة وكيفية فهم الجماعة لها ولوظائفها، فالثقافة السياسية الاجتماعية هي الأساس لمفهوم السلطة ولمصدرها وبالتالي لشرعيتها.

الشرعية هي قيمة بحيث يعترف بموجبها بشيء أو بشخص، ويقبل على أساس أنه صحيح وسليم، وفي العلوم السياسية تفهم الشرعية عادة على أنها القبول والاعتراف الشعبي للسلطة العامة ونظام الحكم، بحيث تتمتع السلطة بالقوة السياسية من خلال المواقف والتفاهم المتبادل وليس بالإكراه.¹

- الشرعية عند ماكس فيبر:

ينسب الباحثون والمهتمون المتخصصون في مسألة الشرعية ومصادرها إلى ماكس فيبر، الذي ميّز بين ثلاثة نماذج للسلطة تعتمد على تصورات مختلفة للشرعية ومصادرها:

- التراث والتقاليد.

- الزعامة الملهمة الكاريزمية.

- العقلانية القانونية.

وقد تم التطرق بالتفصيل لأنواع السلطة عند ماكس فيبر في تعريف مفهوم السلطة.²

- نموذج ديفيد إيستون:

طور إيستون نماذج فيبر الثلاثة للشرعية وأعاد تركيبها، فحدد ثلاثية أخرى كمصادر للشرعية: الزعامة الشخصية، الإيديولوجيا، الشرعية البنوية، فقد طور فكرة الكاريزما بحيث لم يعد ضرورة لتمتع الزعيم الملهم بوضع استثنائي أو امتلاكه لقدسية معينة لكي يدخل في بناء شرعية الحكم. يعتبر،

¹ مرجع سابق، ص 88

² أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 234.

إيستون الإيديولوجية مصدرا مستقلا للشرعية مثله مثل المصادر الثلاثة (التقاليد، الكاريزما، والعقلانية القانونية). ويرى النظام السياسي نفسه أداة لها (إيديولوجية) في الوقت الذي تزوده بشرعية الوجود، النخب السياسية البديلة، أو قوى المعارضة خارج السلطة تطرح وتروج لإيديولوجية معينة تشكك في شرعية النظام القائم من ناحية وتعد بفعالية أكبر وأوسع من ناحية ثانية¹.

يؤمن إيستون في المكون البنوي للمؤسسة، فإذا ما تحولت من بُنى بدائية إلى أخرى معقدة مستقلة بعض الشيء متماسكة في بنائها الداخلي وقادرة على التأقلم مع التطورات المجتمعية، تصبح قادرة على تحويل الثقافة السياسية نحو قاعدة الشرعية الدستورية أو المؤسسية البنوية.

- نموذج مايكل هيدسون:

قدم مقارنة جديدة بعد إيستون، تضم ثلاث قواعد لبناء الشرعية هي ذات الوقت ثلاثة مصادر:

- القاعدة الشخصية (شائعة في النظم السياسية العربية الملكية والجمهورية).

- القاعدة الإيديولوجية (الاستعمال الكثيف لها يخفى في الواقع هشاشة الشرعية المؤسسية للدولة).

- القاعدة البنوية (هي تلك التي تنبع من المؤسسات، وبقدر ما يكون الحكم ممأسسا يزداد الاعتقاد بشرعية القوانين والنظم)².

- نموذج ليبست للشرعية:

يضيف " ليبست " الفاعلية كمصدر مهم للسلطة وشرعيتها، ويقول الفاعلية التي يتمتع بها نظام سياسي ما دور مهم في بناء شرعيته، ويرى أن استقرار السلطة (كنظام) وديمومتها ورسوخها يرتبط بوجود عنصر آخر مهم في كيان السلطة وذلك هو الفاعلية، عنصر الفاعلية في النظام يحول القوة من الكم إلى النوع، ومن ثم إلى حق، والتبعية والطاعة إلى واجب، في غياب الفاعلية تتوجب الطاعة للسلطة بالقوة، وفي وجودها تتوجب الطاعة لسلطة وجوبا وقناعة وقبول، يقول روسو (الأقوى لا يبقى أبداً على جانب من القوة ليكون دائما هو السيد، إن لم يحول قوته إلى حق وطاعته إلى واجب)³

يقرر ليبست أن استقرار النظام السياسي سيكون في خطر إذا ما انهارت الفاعلية لمدة طويلة، أو تكرر انهيارها أكثر من مرة. لمعرفة مدى استقرار المؤسسات السياسية التي تواجه الأزمات.

¹ نفس المرجع، ص 277.

² المرجع السابق، ص 246.

³ نفس المرجع، ص 267

المحور الثاني:

ماهية المؤسسة الاجتماعية

المحور الثاني

ماهية المؤسسة الاجتماعية

أولاً: تعريف المؤسسة الاجتماعية:

➤ تعريف المؤسسة لغة واصطلاحاً:
- لغة:

- تشتق كلمة مؤسسة من الفعل أسس أي بنى هيكل أو إنشاء إطار فكرياً أو أوجد تنظيمها معيناً.¹
- (أسس) الأس والأسس والأساس هو كل مبتدئ شيء، والأساس أصل البناء.
ومنه فالمؤسسة لغة هي: اشتقاق الكلمة من الأساس.

- اصطلاحاً:

حسب القاموس العربي الشامل تعني جمعية أو معهد أو شركة أنشأت لغاية اجتماعية أو خيرية أو اقتصادية.²

➤ تعريف المؤسسة الاجتماعية:

هي مجموعة من الأفراد تضمهم هوية مشتركة يتفاعلون فيما بينهم في سلسلة من الأدوار المتداخلة لإشباع حاجات مادية، عاطفية، وجدانية وروابط اجتماعية مع وجود حد أدنى من التعاون المتبادل فبهذا التفاعل تتحدد أنماطهم السلوكية وأدوارهم التي تميزهم.

في المفهوم العام للمؤسسة هي مجموعة من القيم والمعايير والممارسات المشتركة لمجموعة من الأفراد التي تبني علاقاتها بطريقة منظمة وثابتة ومستقرة، ومن خلال هذه النظرة لأغلب علماء الاجتماع فإن المدرسة والمقولة والأسرة ودور العبادة هي عبارة عن مؤسسات.

➤ المؤسسة عند إميل دوركايم:

فحسب " إميل دوركايم " اعتبر علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس المؤسسات الاجتماعية في نشأتها وتطورها من جهة والوظائف التي تقوم بها من جهة أخرى، فبالنسبة لـ Emile Durkheim المؤسسة هي الموضوع الذي يسمح لعلم الاجتماع أن يكون مستقلاً، فهي نظام مركب من المعايير الاجتماعية المتكاملة من أجل الحفاظ على قيمة اجتماعية أساسية.³

¹ عمر صخري ، اقتصاد المؤسسة ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص 24.
² أمل عبد العزيز محمود ، قاموس العربي الشامل ، ط1 دار الراتب الجامعية بيروت ، 1997 ، ص517.
³ جامع، محمد نبيل، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2009، ص 01.

➤ تعريف ماكس فيبر:

أما " ماكس فيبر " المؤسسة هي كل تجمع إنساني له قواعد تأسيسية معطاة بنجاح، ويكون ذلك داخل مجال حركي حيوي قابل للتحديد أي خاص بجماعة معروفة تعمل أعمالا واضحة ومفهومة ومقصودة حسب معايير محددة وعليه يصبح تصور ماكس فيبر للمؤسسة أضيق وأكثر تحديدا من " إميل دوركايم".¹

➤ المؤسسة عند مالينوفسكي:

عرفت عند " مالينوفسكي " هي كل مؤسسة لها قوانينها وقواعدها وميثاقها الذي تسيّر عليه، والذي يرتبط بالدين والأساطير والمعتقدات والمبادئ القانونية والأخلاقية والثقافية الخاصة بمجتمع معين.

➤ تعريف تالكوت بارسونز:

أما بالنسبة لـ " تالكوت بارسونز " تكون هناك مؤسسة عندما يكون هناك تفاعل بين الأفراد أين يصبح لكل فرد دور لضمان استمرارية وثبات العلاقة المتبادلة بينهم حيث يركز بارسونز على مفهوم الدور فيعتبر المؤسسة مجموع أدوار الفاعلين الاجتماعيين داخلها للحفاظ على ثباتها واستمراريتها حتى تؤدي مهمتها في اشباع حاجيات المجتمع، ولنزعتها الوظيفية فإن " بارسونز " يرى أن كل المؤسسات الاجتماعية يجب أن تتكامل وظيفيا لضمان استقرار المجتمع، كما هو الحال بالنسبة للأفراد داخل المؤسسة الواحدة.²

ومنه فالمؤسسة هي عبارة عن نظام من العلاقات وأنماط السلوك المتشابكة والمتداخلة والدائمة داخل المجتمع الواحد، حيث تقوم ببناء وتنظيم وترتيب سلوك الأفراد وعلاقاتهم انطلاقا من المعايير السائدة في مجتمعهم، وتقوم المؤسسات بهذا الدور وفقا للمجالات الأساسية في الحياة الاجتماعية:

أ- على مستوى الزواج والعلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية.

ب- على مستوى التعليم والتدريب وضمان نقل المعرفة والقدرات والمهارات المتخصصة.

ت- على مستوى سوق لعمل والاقتصاد وانتاج وتوزيع السلع والخدمات.

ث- على مستوى السلطة والقانون والحكم والسياسة لصيانة وحماية المجتمع.

ج- على مستوى الثقافة والإعلام والدين لتعزيز القيم الاجتماعية والمحافظة عليها.

تعد المؤسسات الاجتماعية مكونات هيكليّة مهمة في المجتمعات الحديثة والتي تعالج نشاط أو وظيفة

¹Bietone alain et les autre : **lexique de sociologie**,OSB ,4eme edition,Italie ,213.

² Ibid , p 234 .

أساسية محددة، حيث أن وجود المجتمع الحديث مربوط بوجود المؤسسات والتي تلعب دورا مهما وأساسيا في تنظيم وتسهيل الحياة الاجتماعية، إضافة أنها تعتمد على بعضها البعض في أداء مهامها ووظائفها، وتختلف المؤسسة عن المنظمة في كون هذه الأخيرة تتميز بهيكل تنظيمي هرمي وتعتمد على العمل والتسيير العقلاني لتحقيق أهداف معينة.

ثانيا: أنواع المؤسسات الاجتماعية:

ونلخصها في خمس مؤسسات رئيسة هي مؤسسة: الأسرة، الدين، الاقتصاد، التربية والسياسة والمؤسسات الثانوية: مثل مؤسسة الصحة، الاعلام، الرياضة والتسلية.

1. المؤسسة الأسرية:

حتى يضمن المجتمع الاستمرار والبقاء يجب عليه تربية ونشأة الأفراد والمولودين الجدد على اتباع القيم والمعايير وقواعد السلوك وتعزيز نظم المراقبة والضبط الاجتماعي وتقوم بهذه الوظيفة مؤسسة الأسرة.

2. المؤسسة التربوية:

وتتشارك المؤسسة التربوية مع مؤسسة الأسرة في عملية التطبيع الاجتماعي عن طريق نقل المعارف والثقافة من جيل إلى جيل آخر أي توريث القيم والعادات للنشء الصاعد.

3. المؤسسة الاقتصادية:

أما المؤسسة الاقتصادية فوظيفتها توفير الحاجات الأساسية والضرورية للمجتمع من خلال تنظيم الإنتاج وتوزيع السلع والخدمات وترشيد الاستهلاك .

4. المؤسسة السياسية:

فتهتم المؤسسة السياسية بتوفير السلام والاستقرار لأفراد المجتمع باختلاف أعرافهم وأصولهم الأثنية والدينية وهوياتهم الفرعية، عن طريق نظم الحكم وطبيعة النظام السياسي، إلى جانب دورها في توجيه السلوك السياسي ودوره في اتخاذ وصنع القرار من خلال المشاركة السياسية .

5. المؤسسة الدينية:

كما تعمل المؤسسة الدينية على إعطاء معنى للحياة الدنيوية للناس عن طريق الإيمان والمعتقدات والشعور بالسمو الروحي.

ثالثا: أهمية المؤسسات الاجتماعية:

المؤسسات الاجتماعية عبارة عن هيكل اجتماعي ينظم المجتمع البشرى ويلبى كافة احتياجات الإنسان والأسرة أيضا، وتظهر أهميتها من حيث كونها:

1. وسيلة الثقافة: المؤسسات الاجتماعية تساعد في نقل الثقافة من جيل لآخر وكذلك نقل العادات والتقاليد والمعرفة وهي مهمة جدا للحياة الاجتماعية.

2. تلبية الاحتياجات: فهي تلبي احتياج كل فرد من أفراد المجتمع وتنظم جزء كبير من سلوكياتهم أيضا

3. **تحديد وتنظيم سلوك:** فهي تعرفنا بعض السلوكيات الصحيحة التي يجب العمل بها والسلوكيات الخاطئة لتجنبها، وأيضاً المدرسة تصلح من سلوكنا وعقوبة من يتخلف في سلوكه ويقوم بفعل خاطئ.

4. **تحدد أدوار الأفراد في المجتمع:** تقوم المؤسسات الاجتماعية بتعيين دور معين لكل فرد من أفرادها ويختلف على حسب عمر كلا منهم وعلى معايير أخرى أيضاً والأسرة تحدد العلاقات بناءً على العمر أيضاً وكذلك المؤسسات الاجتماعية تحدد لكل فرد دوراً من خلال تحديد علاقاتهم.

5. التنشئة الاجتماعية:

وهي عملية تبدأ منذ الولادة وتنتهي عند نهاية حياة الفرد والإنسان دائماً في عملية تعلم ودخول الإنسان في الحياة الاجتماعية، ففي التنشئة الاجتماعية والإنسان يتعلم قواعد الحياة الاجتماعية في المؤسسات.

رابعاً: وظائف المؤسسات الاجتماعية:

يعمل المجتمع ويتحرك من خلال هذه النظم والمؤسسات التي أوجدها وشكلها ومازال يشكلها منذ القدم لأنها الوحيدة التي تلبى وتحقق الحاجات الإنسانية:

- من الحاجات للارتباط مع الآخر ومشاركته الوجدانية والعاطفية والتطبع بنفس الأخلاق والاتجاهات والعقائد وهذا من اختصاص ووظيفة الأسرة.
- إلى الحاجة إلى التعلم والثقافة وهي من وظائف المؤسسة التربوية.
- وحتى يضمن المجتمع العدالة والمساواة لابد من الشرائع والقوانين والضوابط وهي من شأن المؤسسة السياسية تقوم بها سلطة مخولة تنظم الشأن العام وتضبط السلوك واستتباب الأمن والسلام.
- والإنسان في سعيه الدؤوب لتحدي الصعاب وتجاوز المشكلات الوجودية لابد من مصدر أعلى من كل المصادر الدنيوية، ولا يجده إلا في الدين والمعتقدات، للشعور بالأمان والسلام والابتعاد عن القلق والمخاوف الدنيوية.¹

خامساً: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الاجتماعية:

1. الاتجاه الوظيفي:

ومن أبرز العلماء الذين تناولوا تحديد مفهوم المؤسسة من خلال الاتجاه الوظيفي هما " إميل دوركايم " و " تالكوت بارسونز "، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المؤسسات لها دور هام في الحفاظ على النظام الاجتماعي، ولا يكون هناك اندماج وتكامل اجتماعي إلا إذا قامت المؤسسات بثلاث وظائف أساسية في المجتمع وهي:

- تقوم المؤسسات ببناء وتكوين علاقات اجتماعية وتكون بمثابة عامل محفز لتوقعات الدور الذي يواجهه الأفراد في تصرفاتهم اليومية .

¹ بودون.ف.بوريكو، مرجع سابق، ص 420.

- تقوم المؤسسات بتعديل الاشباع الاجتماعي واختيار الأشخاص المؤهلين للسلطة
- عن طريق الرموز والسياسات والأيدولوجيات فإن المؤسسات تمثل وتثبت قيم الشرائع والعقائد
والنظم الاجتماعية .

2.الاتجاه الصراعى:

وعلى النقيض من المقاربات الوظيفية فإن نظرية الصراع لها نظرة مغايرة فبالرغم من أن
الصراع وعدم المساواة متأصلان في المجتمعات الحديثة، فإن المؤسسات هي عبارة عن أدوات لتحقيق
السلطة والهيمنة وتساعد على تكريس اللامساواة واللامساواة.

وبالنسبة للباحثين من السهل عليهم إثبات أن الأقليات العرقية والنساء وأولئك الذين ينتمون إلى
طبقات اجتماعية دنيا يستفيدون بدرجة أقل من الطبقات العليا من عمل المؤسسات، وهذا يؤدي إلى تشكل
الطبقية بطريقة تلقائية، ويؤكد العديد من أصحاب النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (هوركهايمر،
ماركوز، أدورنو) أن المؤسسات الاجتماعية يمكن أن تعمل بطريقة استغلالية وإقصاء لأنها تحكم أولا
وقبل كل شيء علاقات القوة وتعطيها الشرعية، وهذا قد يؤدي إلى الشذوذ السلوكي والاختلال الوظيفي
داخل المجتمع.¹

3.الاتجاه التفاعلي الرمزي:

هو اتجاه يحلل التفاعل بين الفكر الذي حمله المهاجرين الأوروبيين إلى أمريكا وبين البيئة الجديدة
التي نشأوا فيها، وعلى هذا فنظرية التفاعل تبلورت في أمريكا إثر ازدياد المشكلات الخاصة بالهجرة
والجريمة وجنوح الأحداث والطلاق والنزاعات الأسرية.

وينصب هذا الاتجاه على أن الفرد يعيش في عالم من الرموز والمعارف المحيطة به في كل
موقف أو التفاعل الاجتماعي يتأثر بها ويستخدمها يوميا وباستمرار، ويتضح استخدام الفرد للرموز من
خلال معانيها للتعبير عن حاجاته الاجتماعية ورغباته الفردية، وتتجلى أهمية الرموز عند استخدامها من
قبل الأفراد كاستخدام اللغة والإيماءات وتحريك الرأس للدلالة على الرفض والقبول لبس الخاتم مثلا
للدلالة على الزواج.²

إن التفاعل الرمزي ووفقا لهذه النظرية يشير إلى العلاقات الشخصية مثلا بين الزوجين وبين
الأولاد والتفاعل داخل الأسرة باعتبارها وحدة من الشخصيات المتفاعلة فيركز على الأسرة من ناحية
أداء الدور، علاقات المكانة ومشكلات الاتصال ومتخذي القرار وعمليات التنشئة الاجتماعية.

¹ -مصطفى خلف عبد الجواد، نظرية علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، دار المسيرة، 2007، ص 67.

² نفس المرجع، ص 89.

يفترض التفاعليون الرمزيون أن العالم الرمزي والثقافي، يختلف باختلاف البنية اللغوية والعرقية وحتى طبقة الأفراد، ومن هنا يهتم بدراسة مثلاً الأسرة في ضوء هذه النظرية انطلاقاً من طبيعة الاختلاف بين العالم الرمزي للزوج والزوجة، وتأثير هذا الاختلاف على تحديد توقعات أدوارهما.

4. الاتجاه المؤسساتي الحديث:

يؤكد هذا الاتجاه (William San, Dimaggio, Powell) على أن المؤسسات مهمة جداً في سن القوانين و الإجراءات تضبط سلوك الأفراد و أعمالهم اليومية، إضافة إلى تنظيم العلاقات و الأفعال و الممارسات مما يجعل البيئة الاجتماعية أكثر قابلية للاستشراق و تنبؤ خاصة في البيئات الأكثر تعقيداً.

ورغم التباين الواضح في وجهات النظر إلا أن هذه الاتجاهات تتفق على أهمية المؤسسة في بناء المجتمع الحديث على غرار مؤسسة الزواج، السياسة، الدين، الاقتصاد، الإعلام والثقافة، بالإضافة لاتفاقهم للتغيير المستمر لهذه المؤسسات، وذلك راجع للتغير الحاصل في أنماط السلوك والعلاقات بين الأفراد، كما يمكن أن تكون المؤسسة هي في حد ذاتها بؤرة للتغير.¹

سادساً: مفاهيم خاصة بالمؤسسة:

مفهوم القيادة: القيادة هي نقل رؤية للمنظمة من أجل تحقيق هدف، يقوم القائد بذلك من خلال صياغة رؤية مدروسة جيداً ثم توصيلها بوضوح، القيادة تؤكد النجاح والمكافأة، وهذا يعني أن المنظمة يجب أن تنجح في البقاء وأن تكافئ بدورها أعضائها.²

مفهوم السيطرة: هي العملية المستخدمة لإنشاء وتوفير هيكل للتعامل مع حالات عدم اليقين عادة ما ينتج عن الرؤى التغيير المفاجئ والذي بدوره ينتج عنه التوتر، تسبب حالات عدم اليقين هذه توترات يجب على القادة التعامل معها حتى لا يعيقوا المنظمة، يختلف هذا كثيراً عن تصور معظم الناس الذين يفكرون في السيطرة على أنها سيطرة على الآخرين.³

مفهوم القوة: يعتبر مفهوم القوة أوسع من مفهوم السيطرة، فالسيطرة تدل على علاقة بين ما هو أعلى وما هو أسفل، كالعلاقة بين رب العمل والعامل.

¹ سليمان حنفي محمود: وظائف الإدارة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفتى، دت، ص 148

² Lagroye Jaques & Offerlé Michel (Dir), Sociologie de l'institution, Paris, Berlin, 2010, p 68.

³ ibid, p 79.

المحور الثالث:

مؤسسة الأسرة

مؤسسة الأسرة

اختلف علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فيما بينهم حول وضع تعريف محدد للأسرة، فالبعض يضع تعريفه على أساس بيولوجي (الجنس والتناسل)، والبعض الآخر يركز على بعض الجوانب الاجتماعية مثل التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي المكانة والأدوار التي يكتسبها الأفراد في إطار نظام الأسرة والزواج.

وبرغم التعريفات الكثيرة التي قدمها العلماء لتعريف الأسرة فسوف نحاول أن نعرض مفهوم الأسرة كما حددها العلماء والفلاسفة منذ الحضارات القديمة مروراً بمفهومها في العصر الوسيط، الحديث والمعاصر وتعريف الأسرة عند علماء الاجتماع المحافظين والراديكاليين.

أولاً: تعريف مؤسسة الأسرة:

1- الأسرة في نظر الفلاسفة:

اهتمامهم بشؤون الدولة والإصلاح كان سبباً في الاهتمام بالأسرة.

- مفهوم الأسرة في مصر القديمة:

كان نظام الأسرة مستقراً وخاضعاً لنظم دقيقة في مختلف المجالات ومن أهم مميزاته: السيادة الأبوية، والتربية الأخلاقية، والحرص على أداء العبادات، يسمح بتعدد الزوجات والطلاق، ويهتم بالفئات العاجزة (يتامى مطلقات، وأرامل)، وللمرأة مركز مرتفع ونفوذ يتبع وضعها وليس غرض الاستمتاع بها.¹

- عند حكماء الصين:

من أهمهم كونفوشيوس وكان يرى أن إصلاح المجتمع غير ممكن بدون إصلاح الأفراد، ولذلك فقد وضع نموذجاً للأسرة الفاضلة من أهم خصائصه: التضامن بين أعضائها، والإخلاص والتعاطف والمحبة والمعرفة، وحدد واجبات متبادلة بين أعضائها.²

¹ صموئيل بشار: "التغير الاجتماعي لنظام الأسرة"، الإسكندرية، ص 73.

² نفس المرجع، ص، 79.

2. الأسرة في الفكر الاجتماعي اليوناني:

كانت الأسرة من أهم ما ركز عليه أفلاطون عندما وضعها كنموذج لمدينة فاضلة، وقد حدد خصائص أسرية لكل طبقة في جمهوريته، مؤكداً على أهمية التربية والإنفاق والمساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات، وحدد سن الإنجاب لضمان إنتاج أطفال أصحاء.

أما أرسطو فقد اهتم بتطور الأسرة وتكوينها (زوج وزوجة وأبناء وعبيد) ويعتبر الرجل في مركز السيادة مبرراً ذلك بكون المرأة أقل تعقلاً وذكاءً، ولذلك تقوم فقط بمهام المنزل وتربية الأبناء، وللرجل ثلاث سلطات: على الأرقاء وعلى الأبناء وعلى الزوجة، وترتبط فضائل أو مكانة عضو الأسرة بوظيفته وفضيلة الرجل السلطة بينما فضيلة المرأة هي الطاعة، وقد اهتم بتحديد سن الزواج وتحديد النسل على قدر حاجة الدولة من السكان، ودعا إلى اهتمام الدولة بأمور تربية الأولاد لإصلاح عاداتهم وأخلاقهم.¹

3- مفهوم الأسرة عند فلاسفة الرومان:

كان اهتمامهم بالقانون سبب في الاهتمام بالأسرة، طالبوا بالمساواة والعدالة والاعتدال في جميع شؤون الحياة بما في ذلك الأسرة، من تنظيم السلطة وإلغاء بعض الاستخدامات السلبية لها مثل: حق الزوج في قتل أو بيع أو رهن أولاده، وما يتعلق بالدية والمسؤولية المشتركة ومسؤولية الجوار.²

4- الأسرة في المسيحية:

حازت على اهتمام الفقهاء والمشرعين وعملوا على تطوير الأحكام والنصوص بالاجتهاد، وحرصوا على وضع أحكام تنظم شؤون الأسرة في الخطبة والميراث وأسباب الطلاق والإجهاض، وإضفاء الطبيعة الروحية على الحياة الأسرية.³

5- الأسرة في الإسلام:

حظي تنظيم الحياة الأسرية بتنظيم بالغ الدقة والتفصيل في الأحكام الإسلامية وقد أكد على المسؤوليات واعتبر الزواج ميثاقاً غليظاً وحرّم قتل الأولاد أو البنات، ومنح المرأة حقوقاً تكفل لها العزة والكرامة ونهى عن الإساءة للنساء وحدد الحقوق والواجبات بين أعضاء الأسرة والأقارب وكذلك جيران الأسرة، ونظم مراحل الطلاق ووضع له أحكاماً، وحدد أحكام الميراث وأمور الحضانة، كما أقر تعدد الزوجات وحدد أحكامه.

¹مرجع سابق، ص 89.

² نفس المرجع، ص 99.

³ نفس المرجع، ص 108.

6- الأسرة عند علماء علم الاجتماع:

أهتم كل من كونت، سبنسر، إميل دوركايم، ماكس فيبر و كارل ماركس بشؤون الأسرة وتحليل مكوناتها ووظائفها، ومقوماتها، وتميزت تحليلات كل منهم بالتركيز على جانب معين من الحياة الأسرية، و انقسم العلماء في تحديد مفهوم الأسرة إلى التيار المثالي المحافظ و التيار المادي الراديكالي.

✓ التعريفات المثالية المحافظة:

تعريف كونت: هي الخلية أولى في المجتمع والزواج استعداد فطري، وللأسرة وظائف أخلاقية ترتكز على الوظيفة العقلية، ولها وظيفة تربوية ودينية وللأم دور هام في تربية الأبناء، وحسب كونت الأسرة هي النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور والوسط الطبيعي الذي يترعرع فيه الفرد، ويعتمد بقاء المجتمع على وجودها فهي تمده بالأعضاء الجدد، وتقوم بتنشئتهم وإعدادهم للقيام بأدوارهم في النظم الأخرى للمجتمع وإقامة أسر خاصة بهم.¹

تعريف هربرت سبنسر: رغم أن سبنسر لم يكن من مؤيدي تحرير المرأة واشتغالها بأعمال خارج المنزل وأن مساواتها بالرجال أو هام، إلا أنه لاحظ تطور الحياة الأسرية ووجد أن الأسرة وحدة بيولوجية لها وظائف تختلف باختلاف طبيعة المجتمع، ففي المجتمعات الحربية يسيطر الرجال وينعدم التآلف والانسجام وتنعكس تلك الطبيعة في التربية والقيم الأخلاقية، أما المجتمعات الصناعية فتسود الحرية والتسامح والتعاطف والتكافل والمشاركة.²

تعريف ليستر وارد: أهتم بدراسة المشاعر الإنسانية ويعتبرها قوة اجتماعية باعتبار أن الحب أمر طبيعي تطور وتشعب إلى أنواع في العلاقات بين أعضاء الأسرة وتابع تطور نظام الزواج.

تعريف ميردوك murdock: يرى أن الأسرة وحدة اجتماعية يتفاعل أفرادها تفاعلا متبادلا، ويؤدي كل فرد فيها دوراً ما حدده المجتمع وثقافته، كما يحقق التفاعل بين أفراد الأسرة إشباعا لحاجات اقتصادية واجتماعية ونفسية وجنسية كما يرتبط بإنجاب الأطفال وتربيتهم.³

وإذا لخصنا تعريفات علماء الاجتماع المحافظين، فإن الأسرة هي جماعة يطلق عليها البعض أيضا اسم وحدة اجتماعية بطريقة قانونية، وهي تتكون من رجل وامرأة وأبناؤهما المباشرين يقطنون معا في مكان مشترك، وتقوم بين الزوجين علاقات جنسية يقرها المجتمع والدين بهدف إنجاب الأطفال ورعايتهم، كما

1 جلال حلمي : "محاضرات في علم الاجتماع العائلي" ، 1987، ص 205.

2 نفس المرجع، ص 209.

3 نفس المرجع، ص 225.

تتميز بوجود علاقات تتسم بالخصوصية والاستمرارية لفترات طويلة تلزم أفرادا بسلسلة من الحقوق والواجبات، حقوق الزوج والزوجة والأبناء وواجباتهم إزاء بعضهم وإزاء الغير.

لو تأملنا التعريفات السابقة لوجدنا أنها تركز على عدة نقاط هي بمثابة الشروط في نظر هؤلاء العلماء لقيام الأسرة وأدائها لوظائفها، ومن أهم هذه الشروط نذكر:

- علاقة بين رجل وامرأة ينظمها القانون ويعترف بها المجتمع.
 - مسكن مشترك يستخدم كمأوي مناسب لأفراد الأسرة لتحقيق احتياجاتهم ومصالحهم المختلفة.
 - أن تتسم العلاقة بالخصوصية والاستمرارية.
 - أن يرتبط وجودها بإنجاب الأطفال وتربيتهم، وفقا للثقافة والمعايير الأخلاقية السائدة.
 - أن يقوم كل فرد فيها بدور يحدده المجتمع بمعايير الاجتماعية والثقافية المتعارف عليها.
 - إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والعاطفية لأفرادها.
 - وجود عدد من الحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة إزاء بعضهم وإزاء الغير.
 - يتميز أفراد الأسرة بانتسابهم إلى أصل عائلي واحد، يحملون اسمه ويرتبطون بروابط القرابة.
- ✓ **التعريفات المادية الراديكالية:**

لقد أكدت المادية الراديكالية على أهمية البعد الطبقي والبعد التاريخي والبعد الاقتصادي في تحديد مفهوم الأسرة، حيث تستمد معظم التعريفات الراديكالية للأسرة والزواج مفهومها من كتابات **ماركس** و**انجلز** حول نظام الأسرة والزواج، التي وردت في كثير من أعمالهما سواء المشتركة أو المنفردة، ومنها على سبيل المثال "رأس المال" لماركس و"البيان الشيوعي" لماركس و**انجلز** و"أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" ل**انجلز** و"حالة الطبقة العاملة في إنجلترا" ل**انجلز**.¹

فإن تعريف **ماركس** و**انجلز** للأسرة والزواج ارتبط بتحليلهما المادي الجدلي التاريخي لنشأة المجتمع ونشأة الملكية الخاصة وظهور الطبقات، وقد توصلا إلى أن علاقات الإنتاج والتطور الذي طرأ عليها هو المسئول الأساسي عن تحديد شكل الأسرة وأنماط الزواج المترتبة عليها، فالأسرة حسب هذه الأطروحة هي أحد الأشكال التاريخية الهامة للتجمع الإنساني الذي تتعدد وتتشابك فيه الوظائف الطبيعية مع الوظائف الاجتماعية، بالرغم من غلبة الوظائف الاجتماعية، أما عن الوظائف الطبيعية فهي تلك التي تنجم عن دخول أفراد من الجنسين في علاقات ينتج عنها إنجاب الأطفال.

¹ أنجلز : أصل العائلة الملكية الخاصة , الدولة , دار التقدم , موسكو , ص 145.

أما العلاقات الاجتماعية بين النساء والرجال والآباء والأبناء فتتحدد وتعتمد على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة لنمط الإنتاج السائد، كما ترتبط الأسرة بشكل أو بآخر بنمط من الزواج، يقوم على اتحاد ودي بين رجل وامرأة، ينظم بشكل معين العلاقات المتبادلة والاهتمامات المشتركة والتقارب الزوجي بين الزوج والزوجة، والأسرة عند تأديتها لوظائفها الهامة تتصل بشكل وثيق بالعلاقات الاجتماعية القائمة في النظام الاجتماعي ككل، أي أن الأسرة في مجتمع طبقي بالرغم من تمتعها بدرجة من الاستقلال النسبي، إلا أنها تمثل الخلية الاقتصادية الأولى باعتبارها جزء من العلاقات الاقتصادية لنظام المجتمع، الذي ينظمها وفقاً لمعايير القانونية والأخلاقية والأيدولوجية والروحية¹.

بناء على التعريف السابق تحدد الوظائف التي تؤديها الأسرة في المجتمع الطبقي بثلاث وظائف هي:

- تنظيم العلاقات بين الجنسين، ذلك الذي يقوم على أساس سيادة النظام الاقتصادي القائم بقواعده القانونية والأخلاقية.

- إنجاب وتربية الأبناء، وهم الطاقة الاجتماعية القادرة على العمل، بمعنى آخر إعادة إنتاج قوة العمل اللازمة.

- تدبير شؤون المنزل وخدمة أفراد الأسرة.

من العرض السابق نستطيع أن نستنتج أهم الفروق الجوهرية بين كلا النوعين من التعريفات التي تناولت الأسرة والزواج، فبينما تركز **التعريفات المحافظة** التي تصف الأسرة بنمطها السائد في المجتمعات الرأسمالية الحديثة الذي يتميز بسيادة نمط الأسرة النووية القائمة على الزواج الأحادي، متجاهلين:

- وجود أنماط أخرى من الأسر، مناطق من قارات آسيا وإفريقيا وأستراليا تختلف اختلافاً بيناً عن ذلك النمط السائد في مجتمعات أوروبا وأمريكا.

- التأكيد على أهمية الأسرة باعتبارها الخلية الاجتماعية الأولى التي يتحقق بواسطتها التكيف والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد سواء داخلها أو مع غيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى الموجودة في المجتمع، متغافلين دور العوامل الاقتصادية والطبقية أي النظام الاقتصادي – الاجتماعي للمجتمع ككل وتأثيره على وضع الأسرة وعلى العلاقات القائمة بين أفرادها.

- إهمال البعد التاريخي في تفسير مفهوم الأسرة والتركيز على البعد القانوني والأخلاقي، فبدت الأسرة كما لو كانت مؤسسة أو نظام يخلق ويتشكل بالقوانين والمعايير الأخلاقية، في حين أنها ظاهرة اجتماعية

¹ المرجع السابق، ص 167.

تاريخية تشكلت وفقاً للنظام الاقتصادي الاجتماعي وتطوره مع تطور هذا النظام بما يعكسه من أنظمة قانونية وأخلاقية وروحية.¹

ثانياً: التطور التاريخي لدراسات الأسرة:

المرحلة الأولى: امتدت حتى منتصف القرن التاسع عشر وتضم أفكار عاطفية وتأملات فلسفية من أهمها كتابات – **عند كونفوشيوس:** التي اهتمت بتحديد حقوق أعضاء الأسرة وواجباتهم تجاه بعضهم يقول: "إن السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكاً صحيحاً كعضو في الأسرة".²

- **في جمهورية أفلاطون** نوعين من الأسر حيث يبيح للطبقة العاملة الطلاق ويحدد النسل ويمنع الزواج بأكثر من واحدة.

- **أما أرسطو:** فيميز الرجل على المرأة في الذكاء، ويضع الرجل على رأس الأسرة التي تتضمن الزوجين والأولاد والعبيد.

المرحلة الثانية: وتمتد من منتصف القرن التاسع عشر حتى بداية العشرين متأثرة بأفكار **الداروينية** (تطور الحياة الاجتماعية مثل تطور الحياة البيولوجية)، ركزت على الدراسات الأنثروبولوجية للمجتمعات البدائية، ولكنها اعتمدت على تقارير وسجلات تاريخية غير دقيقة، وكانت الدراسات تطورية تتعقب التحولات في بنية الأسرة ومكانة أعضائها ووظائفها.³

- **ودوركايم:** يرفض فكرة أن العاطفة والحب هي الأساس للسعادة الزوجية، والأم ترى الأبناء بينما يقوم الأب بتعليمهم وتهذيبهم.

- **هربرت سبنسر:** تعقب التحول في الوظائف من تشابه إلى تخصص واختلاف في المكانة.

- **ولويس مورجان:** تعقب التحول في نظم الزواج من الإباحية إلى وحدانية الزوجة.

المرحلة الثالثة: امتدت من بداية القرن العشرين حتى منتصفه، وساد فيها الاهتمام بدراسة حاضر الأسرة وعلاقاتها الداخلية، وكذلك استخدام المناهج العلمية، حيث توفرت مناهج ومصادر بيانات أكثر، وزاد الاهتمام بالحياة الأسرية وتطوير الأسرة الريفية، وظهر الاهتمام من علماء النفس بالأسرة كما برزت دراسات **مالينوفسكي** عن الأسرة في مستوى ثقافي بسيط.

¹ المرجع السابق، ص 177.

² ثروت أنيس الأسيوطي: "نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين" دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص 56.

³ نفس المرجع، ص 88.

المرحلة الرابعة: ممتدة حتى العصر الراهن وتتميز بزيادة الاهتمام بالنظرية وتعميق الدراسات الكمية بطرق منهجية، كما ظهرت المدارس الفكرية والأطر النظرية المختلفة وزاد الاعتماد على البيانات الميدانية.

ثالثاً: أنواع المؤسسات الأسرية:

استقر رأي علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لتحديد أشكال متنوعة للأسرة يمكن إيجازها في الأتي:

- الأسرة النووية Nuclear Family:

وأحيانا يطلق عليها الأسرة الزوجية Conjugal Family عل اعتبار أن رابطة الزواج ذات أهمية أساسية بالنسبة لها، وهي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء المباشرين وتقوم على نمط الزواج الأحادي Monogamy.

وعن دورة الحياة في الأسرة النووية يقسم العلماء الأسرة إلى دورتين، الأولى تسمى بأسرة التوجيه Family of orientation ويقصد بها الأسرة التي يولد فيها الشخص ويحصل فيها على تنشئته الاجتماعية الأولى والأساسية، والثانية وتسمى بأسرة الانجاب أو التناسل Family Of Procreation ويقصد بها الفرد في أسرة التوجيه عندما يصل إلى درجة النضج البدني والنفسي أو الاقتصادي الذي يمكنه من أن يكون أسرة بنفسه وينجب ويوجه إلى أن ينمو أولاده فينفصلون مكونين أسرة جديدة بالتالي وهكذا.¹

- الأسرة الممتدة Extended Family:

وهي الأسرة التي تتكون من أكثر من جيل كالأب والأم والأبناء غير المتزوجين والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأولادهم وقد يضاف إليها بعض أقارب الزوج كالعم أو العمة والأخ أو الأخت، وهم يشتركون ويعيشون في مسكن كبير واحد أو مساكن منفصلة متجاورة يكونون وحدة متلازمة ومستمرة تقوم على رابطة الدم ويتبادلون معا الخدمات وتقسيم العمل.²

- الأسرة المركبة Compound Family:

وهي الأسرة التي تقوم على النظام التعددي في الزواج سواء تعدد أزواج أو تعدد زوجات، وأيضا في حالة الزواج الثاني الناجم عن الطلاق أو وفاة أحد الزوجين، والأسرة المركبة تتكون من زوج مع زوجتان أو أكثر والأخوة والأخوات الأشقاء والأخوة والأخوات غير الأشقاء، وفي هذه الحالة قد تكون

¹ صموئيل بشارة، مرجع سابق، ص 134.

² نفس المرجع، ص 157.

الإقامة في مسكن واحد أو في مسكنين منفصلين، كما قد تتكون الأسرة المركبة أيضاً من زوج وأبنائه من زوجة سابقة وزوجة وأبنائها من زوج سابق وأبنائها، وفي الواقع فإن هذا النوع من الأسر وإن كان لا يمثل نمطاً شائعاً إلا أنه وجد في جميع المجتمعات القديمة والحديث والمعاصرة مع ملاحظة اختلاف درجة انتشاره من مجتمع لآخر ومن زمن إلى زمن آخر.¹

رابعاً: مقومات الأسرة:

- المقوم الاقتصادي:

ويتمثل في الموارد المادية والاقتصادية فيوفرها تساهم في إشباع حاجات الأفراد المادية، ففكرة تكوين أسرة مرتبط أساساً بمدى قدرة الزوجين والتزامها بالواجبات والمسؤوليات الاقتصادية، ويتوقف الاستقرار الأسري بعد الزواج على العامل الاقتصادي لتوفير الحاجات الأساسية من مسكن ومأكل وملبس وخدمات طبية وتعليمية، وهي أساسية للحفاظ على بناءها المادي والنفسي والاجتماعي، وأي قصور في العامل المادي قد يحرم الأسرة من المشاركة الاجتماعية في الكثير من مجالات الحياة.

- المقوم الصحي:

للأسرة وظيفة بيولوجية تتمثل في إمداد المجتمع بالأفراد عن طريق الإنجاب لاستمرار النسل و النوع الإنساني، حيث من خلالها تنتقل المورثات التي تحملها الجينات و على الزوجين أن يكونا سالمين من الناحية الصحية لضمان سلامة الأبناء، حيث يؤكد العلماء أن العوامل الوراثية من بين أهم أسباب ضعف و تدهور النسل خاصة في حالة الزواج من الأقارب و الزواج من الدرجة الأولى، فعندما يتعرض أحد أفراد الأسرة لأي مرض أو عكة صحية فتضطرب الأسرة و تزيد أعباءها و المسؤوليات، خاصة في حالة المرض المزمن الذي يؤثر سلباً على الاستقرار الأسري نفسياً واجتماعياً و يجعل الأسرة تفقد توازنها و استقرارها.²

- المقوم النفسي:

¹ مرجع سابق، ص 167.

² نفس المرجع، ص 178.

يعد المقوم النفسي من أهم مقومات الأسرة فعندما توفر الأسرة الاستقرار النفسي من الطمأنينة، العطف، الحنان والأمن والأمان لأفرادها فتكون أكثر فعالية في رعاية أبنائها، فهي بذلك تضمن سلامة أفرادها من التفكك الأسري والصراع، فالتفاهم والتعاون المتبادل للوالدين شرط أساسي لاستقرار الحياة الأسرية.

- المقوم الاجتماعي:

إن العلاقات الاجتماعية الأسرية أساس الاستقرار الأسري، فالزوجان يرتبطان بشبكة من العلاقات داخل وخارج الأسرة، فالتوافق الزوجي والتقبل المتبادل بين الزوجين هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الأسرية، ومن أهداف شبكة العلاقات الاجتماعية التكافل والتآزر والدعم المتبادل والمحافظة على الهوية.

خامسا: وظائف الأسرة:

للأسرة مجموعة من الوظائف نلخصها فيما يلي:

1. الوظيفة البيولوجية:

تحفظ الأسرة المجتمع من الانقراض والفناء، وهي النظام الإنساني الأول ومن وظائفها استمرار النوع الإنساني عن طريق إنجاب الأطفال.

2. الوظيفة النفسية العاطفية:

للأسرة دور هام في تطعيم أعضائها بأنواع العطف والحنان فهي بمثابة الفيتامينات الحافظة لبنية الأسرة الاجتماعية والنفسية، إن العلاقات الأولى للطفل تحدد خبراته عن الحب والعاطفة والحماية والانتماء، وتشعره بقيمته وتنمي وعيه بذاته وتبني استعداداته الاجتماعية ليتفاعل مع محيطه.¹

3. الوظيفة التربوية:

كانت الأسرة منذ فجر التاريخ هي البناء الأول الذي تتم فيه العملية التربوية، حيث تنقل الخبرة والمعارف والمهارات ويتلقى من خلالها الطفل القيم الاجتماعية ومعايير السلوك، فيتعلم القراءة والكتابة والحساب وفي الأسرة الممتدة، ويشارك كل من الأقارب والوالدين في تربية الأبناء أما بعد التطور أصبحت الأسرة غير كافية بالنسبة لعملية التربية.²

4. وظيفة الضبط الاجتماعي:

¹ ثناء الخولي: "الزواج والعلاقات الأسرية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص 55.

² نفس المرجع، ص 56.

من أهم وظائف الأسرة غرس في نفوس أبنائها حب الخير و الاحترام و التقدير و قيم المجتمع وكيفية التفاعل الايجابي مع الآخرين، و إذا لم يمتثل الطفل للقيم الاجتماعية و المعايير فيتم رده و تذكيره بالقوانين الاجتماعية و الموجهة للسلوك، فيتعلم الطفل من خلال عملية الضبط الاجتماعي السلوك المقبول و توضيح الصواب و الخطأ، و الأفعال التي تنال جزاء و أخرى تحصد الذم، فيتشرب الطفل من المعايير الأخلاقية الأسرية مما يعزز اهتمامه طول حياته بالقيم و العادات و العلاقات الاجتماعية و المعايير التي تعتبر موجه الأفراد في المجتمع.¹

5.تغير وظائف الأسرة حسب العلماء:

تحدثنا عن الأسرة و اختلاف العلماء في تعريفها وتحديد أهميتها ، وقد رأينا أن العلماء اختلفوا بحسب توجهاتهم الأيديولوجية ومنطلقاتهم النظرية ، فبينما أكد علماء الاجتماع المحافظ على أهمية الأسرة باعتبارها تحقق وظيفة هامة لأفرادها من ناحية وللنظام الاجتماعي من ناحية أخرى ، انطلق العلماء الراديكاليون من موقف مبني على نقد الأسرة خاصة الأسرة في المجتمعات الطبقيّة التي تتحول إل عامل يدعم النظام الطبقي الاجتماعي من خلال علاقات الزواج البرجوازية التي تقوم على التبادل ولتحقيق المصالح الاقتصادية ، وأيضاً بوصفها مؤسسة تعمل على إعادة إنتاج أجيال جديدة تحمل القيم والمعايير البرجوازية التي يكتسبها الأطفال من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية التي يمرون بها خلال مراحل نموهم المختلفة داخل الأسرة.

ونظراً للتغير الاجتماعي الذي طرأ على بناء الأسرة في المجتمعات الغربية الرأسمالية الحديثة وعلى الأخص الوظائف التي تؤديها الأسرة لأفرادها، نجد أن علماء الاجتماع المحافظون قد اختلفوا فيما بينهم حول تحديد أهمية الأسرة في ضوء مجموعة الوظائف التي تؤديها لأفرادها، مع ملاحظة أنهم لم يختلفوا على أهمية وظيفة الأسرة للمجتمع بشكل عام ودورها في تحقيق الاستقرار والضبط الاجتماعي للنظام ككل.

وبيري وليام **أوجبرن** وهو أحد علماء الاتجاه المحافظ أن الأسرة في المجتمعات الحديثة قد فقدت العديد من وظائفها نظراً للتقدم والتطور التكنولوجي الذي طرأ على هذه المجتمعات، فأدى إلي زيادة التخصص وتعدد المجتمع الحديث، مما أدى إلى انتقال عدد كبير من الوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة إلى مؤسسات وتنظيمات أخرى خارج نطاق الأسرة، ويعدد **أوجبرن** هذه الوظائف في الوظيفة الاقتصادية، والوظيفة التعليمية، والوظيفة الدينية، والوظيفة الترفيهية، ووظيفة الأمن والحماية.

¹ المرجع السابق، ص 58.

ويشير **أوجبرن** إلى أن الأسرة في العصور السابقة كانت هي النظام الاجتماعي الرئيسي حيث كانت في الماضي تشكل:

- الوحدة الاقتصادية القائمة على الاكتفاء الذاتي في الإنتاج والاستهلاك.
- كما كان أعضاء الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم.
- كانت الأسرة تقوم بتعليم أفرادها ليس فقط القراءة والكتابة ولكن أيضاً أصول الحرفة أو الصنعة أو الزراعة والتربية الدينية والشئون المنزلية.
- إقامة الشعائر والطقوس الدينية.
- كانت الأسرة أيضاً مسؤولة عن حماية أعضائها وتحقيق الأمن الاقتصادي والاجتماعي والنفسي.
- كانت الوظيفة الترفيهية محصورة أيضاً داخل نطاق الأسرة أو بين عدة أسر.

ويؤكد **أوجبرن** أن مأساة الأسرة الحديثة تكمن في فقدانها لأغلب الوظائف التي كانت تقوم عليها، فالوحدات الإنتاجية الكبرى في المجتمع كالمصانع والمتاجر والبنوك حلت محل الوحدات الاقتصادية العائلية ، كما حلت المدارس والجامعات كمؤسسات اجتماعية محل الوحدة التعليمية العائلية البسيطة ، وأصبحت وظيفة الأمن والحماية من مسئولية أجهزة ومؤسسات مستقلة كجهاز الشرطة، أما ممارسة الشعائر والطقوس الدينية فأصبحت تقام في دور العبادة واختصت مؤسسات اجتماعية بعينها على تقديم الترفيه مثل المسارح ودور السينما وغير ذلك من وسائل الترفيه.¹

هذا وقد اعتبر **أوجبرن** أن التغيرات التكنولوجية وما أحدثته من تغيرات في بناء الأسرة الحديثة بفقدانها العديد من وظائفها قد ساعد على حدوث التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق والانحراف.

أما تالكوت بارسونز **Prsons** ووليام جود **Goode** ، وهما من أبرز علماء النظرية البنائية الوظيفية المحافظة فقد اختلفا مع **أوجبرن** في تفسيره للتغيرات التي طرأت على الأسرة الحديثة فأحدثت انهياراً وتفككاً بها، **فبرسونز** على سبيل المثال رأى أن التغيرات الحديثة في أنماط الأسرة ووظائفها لا يمكن تفسيرها على أنها انهيار أو تفكك ، فعلى العكس تماماً من ذلك فإن فقدان الأسرة لبعض وظائفها وانتقالها إلى وحدات اجتماعية أخرى يجعل الأسرة أكثر حرية في تبني وظائف جديدة ، أو في تحسين مستوى أدائها للوظائف الباقية ويقول في هذا المعنى " عندما تكون وظيفتان مستغريقتان في نفس البناء ثم يحدث أن يقوم بأدائها بناءات مختلفان ، فإنهما تؤديان بدقة وعناية أكثر وبدرجة أكبر من الحرية " ويؤكد **بارسونز** أن الأسرة الحديثة أصبحت أكثر إشباعاً وتلبية للاحتياجات العاطفية والشخصية لكل من البالغين

¹إجلال حلمي : "محاضرات في علم الاجتماع العائلي" ، 1987 ، ص 98.

والأطفال، وكون الأسرة أصبحت أكثر تخصصاً فهذا لا يعني أنها أصبحت أقل أهمية لأن المجتمع أصبح يعتمد عليها أكثر في أداء العديد من وظائفه المختلفة".¹

ويتفق وليام جود مع برسونز في أهمية الأسرة ووظيفتها بالنسبة للنسق والنظام الاجتماعي العام، وذلك بتأكيد على الوظائف الوسيطة للأسرة باعتبار أن الأسرة وسيط بين الفرد والمجتمع الكبير، وهي بذلك تقوم بوظيفة هامة في الضبط الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية **Socialization**، وهكذا تتضح الأفكار المحافظة لعلماء البنائية الوظيفية في تفسيرهم لوظائف الأسرة وتأكيدهم على دورها في تحقيق الضبط الاجتماعي واستقرار النظام العام، وهو هنا النظام الرأسمالي القائم على الاستغلال الطبقي.

لقد أدى هذا بعلماء الاجتماع الماديين للراديكاليين بالابتعاد عن التأكيد على أهمية الأسرة ووظائفها وعلى العكس تماماً، فكما سبق الإشارة اتجهوا إلى نقد الأسرة بأنماطها ووظائفها في ظل الأنظمة الطبقيّة وسيطرة نمط الملكية الخاصة ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسرة لا يمكن أن تتحرر في ظل هذه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الغير متكافئة، والتي بدورها خلقت العديد من الظواهر والمشكلات الاجتماعية المنتشرة في المجتمعات الرأسمالية كمشكلة العلاقات الجنسية خارج الزواج ومشكلة البغاء، إن الإباحية الجنسية والبغاء إنما انعكاسان لفساد المجتمع البورجوازي ورياء الأخلاقي، إذ أن الفرد عاجز عن الانعتاق من العبوديات الاجتماعية يصبح عبداً لغرائز.²

إن الأساس الحقيقي في رأي أصحاب هذا الاتجاه لقيام الأسرة وتأديتها لوظائفها يقوم على الاختيار الحر القائم على الحب المتبادل بين شخصين من جنسين مختلفين بعيداً عن الاعتبارات والمصالح الاقتصادية. وهم يرون أن هذا الأساس لا يمكن أن يتوفر في ظل الأوضاع الطبقيّة الدائمة في المجتمع، وبالتالي فإن هذا الشرط لا يتحقق إلا في ظل المجتمعات الاشتراكية التي تقوم على إلغاء الملكية الخاصة.

ويصور **إنجلز** هذا التحرر العائلي بقوله: " أن تحويل وسائل الإنتاج إلى الملكية العامة يؤدي إلى أن تكف العائلة القائمة على نظام الزواج أن تكون هي الوحدة الاقتصادية للمجتمع، وأن تصبح تربية الأطفال سواء كانوا شرعيين أو طبيعيين وتعليمهم من الأمور العامة حيث يرعى المجتمع كافة الأطفال ... وسيختفي في نفس الوقت السبب الاجتماعي سواء في الناحية الاقتصادية أو الأخلاقية الذي يخلق الرياء في العلاقات الجنسية سواء داخل نظام الزواج أو خارجه، كما ستختفي الأسباب التي تدفع بالنساء إلى ممارسة البغاء".³

¹ المرجع السابق، ص 101.

² نفس المرجع، ص 102.

³ إنجلز، مرجع سابق، ص 167.

ويؤكد **جان فريفييل** ذلك المعنى بقوله إن حرية الحب الحقيقية وحرية الزواج ورفاهية الأسرة مشروطة بنهاية النظام الرأسمالي، ذلك أن حرية الزواج وبالتالي حرية اختيار شريك الحياة لن تتحقق إلا بإلغاء الملكية الخاصة وتلغى معها الاعتبارات الاقتصادية التي ما تزال تلعب إلى اليوم دوراً حاسماً في اختيار ذلك الشريك.

سادساً: الاتجاهات النظرية لمؤسسة الأسرة:

تعد الاتجاهات النظرية في سياق علم الاجتماع هي المرشد لتحديد معالم الظاهرة، وأخذت الأسرة جانباً هاماً من النظرية السوسيولوجية وشكلت قضية تتعدد فيها المداخل، ولقد أصبح مجال دراسة المشكلات الاجتماعية للأسرة التي صاحبت عمليات التصنيع وخروج المرأة للعمل، أحد أهم المجالات الرئيسية التي هيمنت على معظم البحوث والدراسات في مجال علم الاجتماع، بعد ما تطور مفهومها الحديث عبر الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، التي ركزت في تفسيرها وتحليلها للأسرة من الداخل أي دراسة أنواعها وحجمها، ووظائفها والعلاقات الداخلية بين أفرادها، والأدوار والمكانة.

وعلى الرغم من أن الأسرة كنظام كان موضع اهتمام المفكرين والفلاسفة ورجال الدين على مر العصور والحضارات الإنسانية، إلا أن تفسيرهم كان ذا طابع فلسفي أخلاقي تأملي، من كونفوشيوس المعلم الأول في الصين القديمة، إلى أفلاطون وأرسطو عند الإغريق ومفكري عصر النهضة في أوروبا.

أول الدراسات العلمية للأسرة مرتبط بظهور المحاولات العلمية الأولى المبنية على الأدلة التاريخية المادية، من أبرز تلك المحاولات نتائج دراسات العالم البيولوجي المعروف تشارلز دارون في إنجازهِ الشهير "أصل الأنواع" عام 1859، ثم الدراسات الإثنولوجية العرقية والأنثروبولوجية التي اهتمت بتفسير أصل الأسرة والزواج كدراسة باخوفين "حق الأم" عام 1861، ودراسة ماك لينان "الزواج البدائي" 1856، فدراسة ليبوك "أصل الحضارة" 1870، ثم دراسة لويس مورجان، "المجتمع القديم" 1877 وأخيراً دراسة أنجلز الشهيرة "أصل العائلة"، والملكية الخاصة والدولة 1884. م.¹

هذا وقد حدث تطور منهجي خلال النصف الأول من القرن العشرين اتجه ذا طابع إمبيريق ميداني اهتم بدراسة الأسرة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية، وبالتحديد المشكلات الاجتماعية التي عانت منها الأسرة من جراء عمليات التصنيع والتحضر وأصبحت تشكل خطراً يهدد البناء الاجتماعي للمجتمع الرأسمالي ككل، خاصة مع تزايد حدة التفاوت الطبقي بين أبناء الأسرة الغنية (الطبقة البرجوازية) وأبناء الأسرة الفقيرة من الطبقة العاملة ومشكلات التفكك أو التصدع الأسري، وعدم التوافق والطلاق والجريمة

¹ إجلال حلمي، مرجع سابق، ص 143.

والانحراف والدعارة، والهجرة إلى غير ذلك من المشكلات الاجتماعية أصبحت تمثل بؤرة اهتمام علماء الاجتماع.

1. المقاربة الوظيفية:

تنطلق المقاربة الوظيفية من فكرة مفادها أن المجتمع مكون من مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تؤدي مجموعة من الوظائف الضامنة لاستمرارية الوضع الاجتماعي، وعليه فإن العائلة هنا هي نسق اجتماعي جزئي ضمن النسق الكلي وهو المجتمع، ويقوم أفرادها بمجموعة من الأدوار والوظائف، والتي من شأنها أن تحقق ديمومة واستمرارية النسق الكلي، وعليه فإن تحول المجتمعات من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية ساهم بشكل كبير في التأثير على الأسرة وأدى إلى تحول أدوارها، حيث أنها كانت تشكل وحدة أساسية للتصنيع والإنتاج، وأصبحت بعد ذلك تركز على الجانب التربوي ورعاية الأبناء وتنشئتهم اجتماعياً، بمعنى أن دور الأب أصبح دوراً أداتياً قائم على كسب الرزق، بينما دور الأم يتمثل في التربية والعاطفة والحنان.

وفي هذا السياق يرى أوجست كونت أن الأسرة هي : الخلية الأولى في جسم المجتمع – ويمكن مقارنتها في طبيعتها ومركزها بالخلية في المركب البيولوجي، ويرى كونت أن نظام الأسرة موجود بالفطرة وأن الحياة الأسرية هي الحالة الطبيعية للإنسان ، فالفردية في نظره لا تمثل شيئاً من الحياة الاجتماعية ، واعتبر الزواج استعداداً طبيعياً عاماً والأساس الأول في البنيان الاجتماعي ، وأن هذا الزواج يجب أن يكون قائماً على وحدانية الزوج والزوجة، كما يرى أن كل عامل يضعف الزواج أو يقلل من شأنه يعتبر عامل هدم وهو لذلك لا يقبل ظاهرة الطلاق ، ويقر كونت مبدأ خضوع المرأة للرجل مع الاعتراف بسموها من الناحية العاطفية والأخلاقية ، فالنساء أرقى من الرجال في العواطف والمشاركات الوجدانية ولكنهن أقل فهماً وذكاء وقدرة على التفكير وذلك لاعتبارات بيولوجية¹.

أما عن إصلاح النظام الأسري فقد ركز على الوظيفة الأخلاقية للأسرة، فالأسرة الصالحة هي التي تشيع بين أفرادها وعناصرها عواطف حب الغير وكل ما من شأنه أن يهذب الأفراد ويجعلهم يستسقوا من مبدأ التضامن الاجتماعي، وقد اعتبر كونت أن الأم هي المسؤولة عن إعداد الأطفال في المرحلة الأولى، فهي تقوم لسان الطفل وتعلمه اللغة وتغرس فيه مبادئ الدين.

أما سبنسر H. Spencer (1820 - 1903) : لقد تأثر بأفكار النظرية التطورية الأنثروبولوجية في النشأ والارتقاء وحاول تطبيق هذه الفكرة في ميادين علم الاجتماع ، فقد ذهب سبنسر للقول بأن الارتقاء في جميع ممالك الطبيعة من نبات وحيوان واجتماع إنساني (وما يتصل به من شئون

¹ المرجع السابق، ص 167.

تتعلق بالعبادات والفنون والأخلاق) تقوم على أساس واحد هو الانتقال من التماثل والتشابه إلى التباين وعدم التجانس، وينتقل سبنسر من ميدان الحياة البيولوجية إلى مجال الحياة الاجتماعية، فيذهب إلى القول بأن المجتمع في أول عهده كان يتألف من أفراد متشابهين متماثلين من حيث طرق معيشة، فالفرد يعيش على الفطرة ولا يحتاج للآخرين فهو يعد طعامه بنفسه، ويبني مسكنه ويدافع عن نفسه مثله مثل الأنواع الدنيا من الحيوان، ثم تطورت الحياة الاجتماعية وانتقلت إلى مرحلة أكثر ارتقاءً من مرحلة الفطرة، وهنا اتخذت الفروق والاختلافات في الظهور شيئاً فشيئاً، فأصبح للفرد زوجة وأولاد، ولم يعد يقوم بشئون المعيشة وحده، بل تقاسمت بين الزوج والزوجة وأولاده في أعمال الصيد والرعي، ثم ما لبث أن ازداد التخصص في مجال الحياة الاجتماعية فأصبح ثمة أفراد يقومون بالزراعة وآخرون بالصناعة ومنهم من يقوم بوظيفة الدفاع وغيرهم يقومون بوظائف إدارية وآخرون يقومون بوظائف تربوية وهكذا، وقد أشار سبنسر إلى أن الأسر **Family** تخضع أيضاً لمبدأ التطور، فبعد أن كان رب الأسرة هو حاكمها وقاضيا ومربيها وهو الذي يدبر اقتصادياتها انتقلت هذه الوظائف إلى هيئات اجتماعية متعددة موجودة في المجتمع، وأصبح لكل فرد في الأسرة وظيفة ومركز اجتماعي يشغله، وقد قسم سبنسر المجتمعات إلى نوعين: مجتمعات حربية: وتكون فيه القوة مصدر السيطرة للرجل، وهو الذي يحكم ويقضى وتكون له السلطة وهو عصب الأسرة وسيدها، ومجتمعات صناعية: وفيها تحتل المرأة مركزاً معادلاً للرجل وتسود بينهما روح المشاركة والتعاون والتضامن، كما تمتاز بقسط كبير من التكافل الاجتماعي ومن رعاية الدولة، أما عن نظريته للمرأة فقد كان يؤيد سيادة الرجل على الأسرة وعدم نزول المرأة إلى ميدان الحياة العامة، وكان يري أن عمل المرأة في منزلها خيراً من الخدمة في الوظائف العامة.¹

أما تحليل الأسرة عند **إميل دوركايم (1858-1917) Emile Durkeim** والذي يعتبر من أبرز ممثلي الاتجاه الوظيفي وأحد دعائم الحركة العلمية عامة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وهو منشئ علم الاجتماع الحديث، فدرس دوركايم الأسرة بوصفها الخلية الأولى من المجتمع ودرسها في طبيعتها وفي أشكالها وفي وظائفها، ورجع في هذا الصدد إلى أقدم الأشكال الأسرية في المجتمعات **الطوطمية** التي يعتبرها دائماً أقدم أشكال المجتمعات الإنسانية، و **الطوطمية** حسب تعريف **دوركايم** هي نسق ديني تعتبر فيه بعض الأشياء خاصة الحيوانات والنباتات مقدسة وترمز للعشيرة، واعتبر **دوركايم** أن **الطوطمية** هي الشكل الأكثر بدائية وبساطة للدين ويوازها شكل بدائي من التنظيم الاجتماعي ذلكم هو العشيرة، وانتهى في دراسته إلى أن الاجتماع الأسري لا يقوم على الغريزة ودوافع الطبيعة ولكنه يقوم على قواعد وأساليب يرتضيها "العقل الجمعي" وتدعو إليها الحياة الاجتماعية، وقد درس نطاق الأسرة وقرر أنه تطور من الاتساع إلى الضيق، فقد انتقلت

¹ المرجع السابق، 186.

الأسرة من الشكل الطوطمي حيث كان واسعاً كل السعة إلى الأسرة الأبوية الكبيرة التي كانت معروفة لدى اليونان والرومان ، ثم ضاق نطاق الأسرة شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الحد الذي كانت عليه الأسرة الرومانية في عصورها التاريخية المعروفة بالأسرة الأبوية (**Famille Patriarcale**) ثم اقتصرت الأسرة على شكلها الحالي السائد في معظم الشعوب المتقدمة وهي الأسرة الزوجية (**Famille Conjugale**) وكان لهذا التطور أثره في وظائف الأسرة ، فلقد تطورت هذه الوظائف من الأوسع إلى الواسع ثم إلى الضيق فالأضيق.¹

أما الأسرة في الاتجاه البنائي الوظيفي **تاكوت بارسونز**: يعتبر الاتجاه البنائي الوظيفي في تحليل النسق الأسري من أحدث التحليلات في هذا المجال، وهو يتناول بالبحث " التكامل بين الأسرة والنظم الأخرى ، كما يحلل الوظائف التي تقوم بها هذه الوحدة البنائية (الأسرة) في المجتمع الصناعي الحديث .

حيث أن الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية قد تأثر بالاتجاه الوظيفي في علم الأحياء، أي أن علم الأحياء منقسم حول فكرة أن كل عضو يقوم بوظيفة أو وظائف ضروري لحياة الكائن الحي، ويؤكد على مبدأ الاعتماد المتبادل للأعضاء وبصفة مماثلة يتكون المجتمع من أعضاء وكل عضو يقوم بوظيفة أو وظائف تسهم في بقاء النظام الاجتماعي واستمراره على أساس الترابط والتأثير المتبادل، ويحاول التركيز على دراسة كل التفاصيل التي تكشف عن الحياة اليومية للأسرة، في محاولة لفهم علاقة الأسرة كنسق اجتماعي بالأنساق الأخرى في المجتمع من الناحيتين البنائية الوظيفية، وكما أن الاهتمام بالأفراد في الأسرة يعتبر من العلاقات المميزة لهذا الاتجاه، كما أن دراسة الأسرة والزواج قد مر بعدة تطورات كانت تعكس ظروف العصر وطابع الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأصبحت الأسرة تواجه عددا من المشاكل من فقر وهجرة، وفي هذا السياق يرى **بارسونز T. Parsons** أن التوازن بمثابة الطبيعة المركزية للأسرة، فالأسرة تعمل على ترسيخ وضع متوازن ومنسجم كتعويض عن التأثيرات والتوترات الخارجية، بمعنى آخر أن بارسونز يرى أن الاستقرار في بنية الأسرة هو المهمة الرئيسية للزوج الأب والزوجة الأم.²

أما بالنسبة لوظائف الأسرة فإن استقرارها في هذا الشأن فيؤكد كذلك الحال بالنسبة للتكيف الاجتماعي، فالأسرة تعمل على نقل القيم والقواعد المقبولة وأنماط السلوك القائمة للأسرة، كما وتتضمن تكيف الفرد لمطالب المجتمع والتآلف داخل الأسرة، ويُعد الأفراد لأن يعملوا على الحفاظ على الأسرة في المجتمع.

¹ المرجع السابق، ص 198.

² نفس المرجع، ص 206.

فالأسرة بالنسبة لـ **بارسونز** هي بمثابة نظام تندمج فيه نظم فرعية لا يتسنى فهمها دون الرجوع إلى النظام الشامل، فالأسرة باعتبارها نظاماً فرعياً معرضة لضغوط من ناحية التغيرات التي تطرأ على المجتمع الكبير، فالتأثيرات التي تحدث في الأسرة وردود الأفعال هي انعكاسات للظروف الجديدة والقيم الثقافية الجديدة، ولعل أهم إسهام للنظرية الوظيفية، هو تأكيدها على أن فهم السلوك الإنساني.

ويمكن أن نقول إن تحليل دور المعايير والقيم في الأفعال، وهذا يساعد بطريقة أو بأخرى على فهم صراع القيم والمعايير إبان التغيرات الاجتماعية الكبرى، ففي هذه الفترات يكون الناس تحت ضغط القيم الجديدة، فالتغيرات الأسرية مرجعها الأساسي للعوامل الثقافية حيث تفكير الشباب الجديد الذي يعكس القيم الجديدة المكتسبة حيث التحرر، رفض التقاليد، القلق، عدم الاستقرار المهني، هذه الأيديولوجية الثقافية الجديدة وهي المفسر الحقيقي وراء ثورة الشباب على النظم المتوارثة بما في ذلك الأسرة والزواج ومدى أهمية فئة الشباب في المجتمع وضرورة حل مشكلاته.

2. الاتجاه الصراعى:

حللوا الأسرة في مجتمعات رأسمالية ويرون أنها مليئة بالتناقضات وعدم المساواة والاختلافات التي تؤدي حتماً إلى النزاعات، حتى وجود الأسرة يعتبرونه لمصلحة استمرار النظام الرأسمالي الذي يشجع على الملكية وتراكم الممتلكات، والنزاعات بين الزوجين تحدث بسبب عدم المساواة بينهما في الحقوق والواجبات، ولذلك يكون لهذه النزاعات تأثيرات إيجابية على بنية الأسرة، والنزاعات غالباً ما تكون على (المال والسلطة) والانسجام يحدث كوسيلة للتحكم في عملية الصراع، فلم يحاول **كارل ماركس** وضع نظريته في الأسرة خلال مراحل التاريخ الإنساني وإنما حاول دراسة التغيرات التي لحقت بالأسرة نتيجة لاستخدام الآلات في الصناعة حيث تم الاستعانة بالأبناء والأطفال وإحلالهم محل الرجال، كما أدى إلى انخفاض معدلات الأجور نتيجة لزيادة العرض على الطلب في سوق العمل، ولقد كانت لهذه التغيرات أثر كبير على الأسرة، حيث أصبح جميع أفرادها يعملون في المصانع و بأجور زهيدة و لساعات طويلة و أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية للأسرة و ارتفاع معدلات الوفيات بين العمال، و اضطر الآباء لبيع قوة عمل أبنائهم في سن مبكر و بشروط قاسية، أما بالنسبة لسلطة الآباء في الأسرة فقد ظلت كما هي ، إذ كان الآباء في المرحلة الأولى للمصنع يعملون جنباً لجنب مع أبنائهم و أحياناً كثيرة مع زوجاتهم مما مكنهم من مراقبة أولادهم داخل المصنع و بالتالي المحافظة على سلطتهم الأبوية.¹

✓ المدخل الصراعى النسوي:

¹ إنجلز، مرجع سابق، ص 235.

اهتمت العديد من التيارات النسوية بدراسة العائلة، لتسليط الضوء على مجموعة من الإكراهات التي تواجهها المرأة في بيتها خاصة ربات البيوت، ومن أهم الاتجاهات النسويات اللاتي اهتمن بهذا الأمر الأمريكية **بيتي فريدان** والتي لطالما سلطت الضوء على المرأة الأمريكية، ففي أحد الدراسات لها والمعنونة بـ **"اللغز الأنثوي"** ركزت على المرأة في الطبقة المتوسطة حيث أنها كانت ترى أن أغلب النساء الأمريكيات كن يحققن هويتهم من خلال الزواج والتربية، كما أنها كانت ترفض كل أشكال بقاء المرأة في المنزل وكانت تسمى تلك النساء بالزوجات الأسيرات، لمعاناتهم من العزلة والملل، ولقد تطور النقاش النسوي وظهرت العديد من التيارات النسوية التي تهتم بشكل أساسي بهذا البعد خلال سنوات السبعينات و الثمانيات، فأصبحت جل الدراسات التي تخرج من هذا القالب تتمحور حول ثلاثية: **تقسيم العمل البيتي، بالإضافة إلى التوزيع المتفاوت للقوة والسلطة، وأيضاً الرعاية في الأسرة،** وفي هذا السياق اهتم الاتجاه النسوي بالسعي لتحقيق العائلة المتوازنة، وهي العائلة القائمة على تحقيق المقاربة التشاركية على مستوى الأدوار و توزيعها.¹

و وجه أنصار هذا الاتجاه اهتمامهم للكشف عن كيفية استغلال الأفراد داخل الأسرة قوتهم في سبيل تحقيق أهدافهم و غاياتهم، و يعتبرون العلاقات الأسرية كنوع من الصراع الطبقي يمثل الرجل الطبقة الحاكمة و المرأة تمثل الطبقة المحكومة ، و يحاول كل فرد من أفراد الأسرة استغلال مكانته للوصول لغاياته، حيث في نظر هذا الاتجاه وجد المجتمع استجابة لاعتبارات رأسمالية بحتة قوامها المحافظة على استمرار و سيطرة الأفراد على الملكية، و يرى أصحاب هذا الاتجاه كذلك أن الخلافات الأسرية بين أعضائها أمر طبيعي ونتاج لعدم المساواة في الحقوق و الواجبات، كما أنه لا ينظر للخلافات و المشاحنات الأسرية على أنها تقوض كيان الأسرة، بل لها إيجابيات تعود على بنيتها، يركز هذا الاتجاه المفاهيم كالمال، السلطة والثروة و المنافسة كمصادر أساسية لوقوع الخلافات الأسرية، و أن الاتفاق و الانسجام ما هو إلا وسيلة للتحكم في عملية الصراع داخل الأسر.

أما تحليل الأسرة عند العالم **انتوني جيدنز** تم دراسة العائلة من خلال بلورة مجموعة من الإشكاليات والتي تتمحور حول تغير أشكال الأسر وتكوينها، تعدد الزوجات في علاقته مع ما يطرحه وما يطلبه المجتمع الحديث، بالإضافة إلى تغير أدوار المرأة، وظهور العديد من الظواهر في المؤسسة الأسرية كالطلاق والعنف.

3. الاتجاه التفاعلي الرمزي:

و هي نظرية تبين التفاعل بين الأفكار التي حملها المهاجرون الأوروبيون إلى أمريكا و بين البيئة الجديدة، و عليه تبلورت و تطورت النظرية التفاعلية الرمزية على يد مدرسة شيكاغو بقيادة **جورج هيربرت ميد**

¹ سيد عويس : "حديث عن المرأة المصرية المعاصرة" , مطبعة أطلس القاهرة , 1977 , ص48.

متأثراً بالمدرسة الألمانية ذات التوجه السيكلوجي لنظرية الفعل الاجتماعي و خاصة بجورج زيمل مؤسس السوسيولوجيا التفاعلية، و تم تطويرها و تكيفها مع خصوصية المجتمع الأمريكي خاصة مع تفاقم المشاكل المتعلقة بالهجرة كالجريمة و جنوح الأحداث و الطلاق و النزاعات الأسرية، و يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفرد يعيش في عالم من الرموز و المعارف المحيطة به في كل موقف أو تفاعل اجتماعي، يتأثر بها و يستخدمها يوميا و باستمرار، و يتضح استخدام الفرد للرموز من خلال معانيها للتعبير عن حاجاته الاجتماعية و رغباته الفردية، و تتجلى أهمية الرموز عند استخدامها من قبل الأفراد كاستخدام اللغة، الإيماءات و الدلالات التي تحملها الأشياء، ووفقا لهذه النظرية فإن التفاعل الرمزي في نطاق الأسرة يشير إلى العلاقات الشخصية بين الزوج و زوجته و الأولاد، و أن الأسرة هي وحدة من الشخصيات المتفاعلة، فيركز على الأسرة من ناحية أداء الأدوار العلاقات و المكانة و مشكلات الاتصال و متخذي القرارات و عمليات التنشئة.

يفترض التفاعليون الرمزيون أن العالم الرمزي و الثقافي يختلف باختلاف البنية اللغوية و العرقية أو حتى الطبقة للأفراد، و من هنا يهتم دارسوا الأسرة في ضوء هذه الفرضية بطبيعة الاختلاف بين العالم الرمزي للزوج و الزوجة و تأثير هذا الاختلاف على تحديد توقعات أدوارهما و على مجريات التفاعل بينهما، و أكدت الدراسات في هذا الصدد أن كلما كان العالم الرمزي مختلفا و متباينا كما يحدث في الزيجات بين الأفراد اللذين ينتمون إلى بيئات ثقافية و لغوية مختلفة كلما تبلورت توقعات الأدوار بشكل ضعيف و بطيء، كلما شهد التفاعل بينهما ضروبا من التوتر و الصراع، و يحدث العكس في حالة اشتراك الطرفين في عالم رمزي واحد، أي حسب هذا الاتجاه لا يمكننا فهم الخلافات الأسرية بدون أن نحلل المجتمع و الثقافة الفرعية لكل من الزوج و الزوجة، أي يجب أن ندرس اللغة و الرموز و المعاني و الإشارات و انعكاسها على يوم مؤسسة الأسرة.¹

4. الأسرة في نظرية التبادل الاجتماعي:

يرى أنصار هذه النظرية أن الأفراد يدخلون مع بعضهم البعض في علاقات تبادلية، فهم يتبادلون العواطف و المشاعر و الآراء و الأفكار و المصالح و الأموال و غيرها، وفي تبادلهم هذا هم يسعون إلى تحقيق أكبر قدر من الربح بأقل خسائر ممكنة، فعندما تتعذر الحياة الزوجية بين الطرفين و تصبح الحياة مليئة بالمشاحنات و المشاكل، فإن المرأة تحاول أن تحسب مقدار الخسارة المترتبة من هذا الطلاق و مقدار المكاسب، فإذا أحست أن مكاسبها من الطلاق تفوق خسائرها فإنها تتخذ قرار الطلاق و العكس صحيح، إذا كانت الخسائر أكثر من المكاسب فإنها تستثمر في حياتها الزوجية و هنا الخسائر يمكن أن تكون مادية أو اجتماعية أو معنوية.

¹ إجلال حلمي، مرجع سابق، ص 105.

فحسب هذه النظرية تتبادل هذه الموارد بالمثل كأن يتزوج الأفراد من نفس الطبقة الاجتماعية، السلالة، التعليم والمهنة بينما آخرون يتبادلون على موارد مختلفة، على سبيل المثال جاذبية المرأة تبادل ثروة الرجل أو مكانته الاجتماعية، على الرغم من تعلم المرأة و مشاركتها في العمل إلا أن هذه التبادلات تظل مرهونة نظريا و عمليا من منظور التبادل الاجتماعي بالموارد، وهذه الأخيرة ترتبط بالقوة بشدة لأن الموارد تزيد القوة و تقلل التبعية، فيصبح الأساس في الزواج الحصة الأكبر استفاد من الفعل الزواجي في اختيار شريك الحياة، إذ من المتوقع أن يجني احد الطرفين مكاسب جمة من الشريك الآخر، كما أن تنظيم الوحدة الأسرية أشبه بتنظيم الوحدة الإنتاجية للحصول على اكبر عائد، فمثلا لتفسير حالات الطلاق حسب هذه النظرية ترجع إلى خلل في عمليات التبادل و عدم العدالة في توزيع المكافآت أو الفوائد، فإذا شعر احد الزوجين مثلا بأنه يعطي الكثير للزواج و أن تكاليف هذا العطاء تفوق بكثير الفوائد المتوقعة فان هذا الطرف قد يقرر إنهاء العلاقة.

5. الاتجاه المؤسسي:

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الأسرة كمؤسسة تقوم بوظائف تتكامل مع مؤسسات المجتمع، من رواد هذا الاتجاه:

النظرية الدورية عند كارل زيمرمان :

يعتبر كارل زيمرمان **Carl Zimmerman** أول من دعم هذه النظرية في كتابه " الأسرة والحضارة " وقد اعتمد في تدعيم نظريته على مادة تطويرية مقارنة استقاها من المجتمعات المختلفة المتقدمة، وقد وجد زيمرمان من خلال تتبعه لتاريخ الغرب ثلاثة نماذج أسرية وهي: نموذج أسرة الوصاية **The Trustee Family** ونموذج الأسرة العائلية **The Domestic Family** والأسرة النوواة .

وتشتق " أسرة الوصاية " من الحقيقة القائلة بأن الأعضاء لا يُنظر إليهم كأعضاء في الأسرة بل كأوصياء على اسمها وأموالها ونسبها وتعتبر في حد ذاتها " خالدة " بغض النظر عن وجود الأفراد، وإلى جانب درجة عالية من "الأسرية " فليس هناك أي تصور لحقوق الأفراد أو أي تساؤل عن رفاهية الفرد فهي ترتبط برفاهية الأسرة كجماعة.¹

وأسرة الوصاية لها سلطة كبيرة على أفرادها، وتستمد سلطة الزوج أو الأب المطلقة من كونها قوة منبعثة من دوره كوصي على الأسرة ومن تحمله مسئوليتها، ويتم تنظيم الأسر في عشائر لتكون الدولة في نهاية الأمر، وعند تشكيل الحكومة فإنها لا تتدخل في شؤون الأسرة إلا نادرا.

¹ المرجع السابق، ص 139.

يأتي بعد ذلك في سلم تطور نظام الأسرة "الأسرة العائلية" وهي نوع متطور أو مشتق من أسرة الوصاية حيث تضعف سيطرة الأسرة على أفرادها وتزداد سلطة الدولة التي تحد من حق الأسرة في معاقبة أفرادها، وتهيئ الظروف لممارسة الحقوق الفردية لكي يتمكن أعضاء الأسرة من مواجهة سلطتها.

أما "الأسرة النواة" فهي على النقيض من النوع الأول حيث حلت الفردية محل الأسرية، وتناقصت قوة الأسرة وسلطتها إلى الحد الأدنى، وأصبحت الدولة أساس منظم للأفراد، وإذا كانت التضحية بالنفس في سبيل أهداف الجماعة من السمات المميزة لأسرة الوصايا، فإن مذهب النفعية أو اللذة هو ما يميز أسرة النواة، وقد أصبح الزواج عقداً مدنيا ليست له القدسية التي كانت في الماضي مما جعل الطلاق أمراً شائعاً، وهذا إلى جانب أدلة أخرى على تفشي الفردية مثل الحركات النسائية وعدم الرغبة في الإنجاب ومشاكل الشباب، وكثير من الاضطرابات التي ترتبط بحياة الأسرة عامة، ويرى "زيمرمان" أن الأسرة النواة فقدت القدرة على إنجاز وظائف الأسرة الضرورية، ولم يعد بإمكانها إرضاء المتطلبات المتزايدة للفردية.¹ وأخيراً يعتقد "زيمرمان" أن ظهور الأسرة النواة كان عاملاً مصاحباً لتصدع أركان الحياة الاجتماعية، والذي يتمثل في اختلال الانسجام والتوافق في الزواج وانتشار الزنا وسوء استعمال الجنس وسهولة الطلاق، وانتشار ظاهرة الأولاد غير الشرعيين والجناح، في الوقت الذي تندثر فيه مفهومات الولاء والانتماء والتضحية وتزايد ظهور النزعة الفردية، ويرى "زيمرمان" أنه نظراً للانحيار الواضح المستمر في الأسرة النواة، فليس بعيد أن تظهر من جديد أسرة الوصاية أو التوجيه، وهكذا يعيد التاريخ نفسه.

¹ نفس المرجع، ص 139.

المحور الرابع:

المؤسسة الاقتصادية

المؤسسة الاقتصادية

تعمل مؤسسات الاقتصاد على تشكيل وتنسيق عمليات الإنتاج، وتوزيع وتبادل المواد والسلع والخدمات التي يحتاجها المجتمع، هذه العمليات الثلاث التي يركز عليها علم الاقتصاد، أما تأثيرات هذه العمليات في سلوك الأفراد والقيم الاجتماعية التي ينتجها من تعاون، تنافس، صراع، ظهور تنظيمات جديدة أو تقسيم العمل، فهي من اختصاص علم الاجتماع، الذي يستخدم ويطبق مرجعية ومبادئ الاقتصاد لدراسة العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية والمتغيرات الاجتماعية في دراسة الظواهر.

أولاً: مفهوم المؤسسة الاقتصادية في الاتجاهات النظرية:

1. المؤسسة الاقتصادية في المنظور الرأسمالي:

هي منظمة تجمع أشخاصاً ذوي كفاءات متنوعة، تستعمل رؤوس الأموال وقدرات من أجل إنتاج سلعة يمكن أن تباع بسعر أقل من التكلفة، يركز هذا الاتجاه على الجانب الربحي إذ يعتبر المؤسسة الاقتصادية وحدة إنتاجية مربحة رغم إمكانية تعدد هذه الوحدات، وإهمالها للعنصر البشري باعتباره من أهم العوامل الإنتاجية، وهذا التعريف يوافق تماماً المؤسسة الرأسمالية التي تركز على الثروة والأرباح.¹

2. المؤسسة الاقتصادية من المنظور الاشتراكي:

أما مفهوم المؤسسة في نظر الاتجاه الاشتراكي هي منظمة تملكها الدولة وتمنحها الاستقلالية في الإدارة، ففي الاقتصاد الاشتراكي والذي تمتد جذوره إلى النظرية الماركسية التي هي مصدر أساسي وعلمي للأنظمة الاشتراكية، التي ترى أن المؤسسة هي "شكل أعلى من اشتراكية وسائل الإنتاج" و"تعمل على الربط بين المصلحة العامة للمجتمع والمؤسسة وإزالة الفوارق الاجتماعية، والقضاء على الاستغلال عن طريق ملكية وسائل الإنتاج"، أما فيما يخص علاقات العمل فيها فتوجه من خلال تدخل الدولة ضمن أطر قانونية وتنظيمية محددة تفرض على العمال وأصحاب العمل على السواء قصد ضمان المساواة في الحقوق والواجبات، ويركز أصحاب هذا الاتجاه في تعريفهم للمؤسسة الاقتصادية على المساواة وإحلال العدالة الاجتماعية وإلغاء الفوارق الاجتماعية.²

¹ محمد سعيد أوكيل، وآخرون، استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية تسيير واتخاذ القرارات في إطار المنظور النظامي، جامعة الجزائر، 1994، ص 146.

² نفس المرجع، ص 147.

3. المؤسسة الاقتصادية في قانون العمل:

بينما نجد أن قانون العمل يعطي للمؤسسة مفهوما يضيف عليها مدلولاً يسمح لها بأن تكون منظمة اجتماعية داخل العمل، فهي الإطار الأول لتكوين علاقات عمل تسمح لمجموعة العمال بممارسة نشاطهم بداخلها تحت إشراف مسئول، فتعد بذلك خلية اجتماعية تتميز بنشاط تركز تحت سلطة واحدة.¹

4. المقاربة المؤسساتية:

قدم الاتجاه المؤسساتي الذي يمثلته " Joen Rogers commons " مؤسسا قبليا فحسب اعتقاده أن المؤسسات الاقتصادية أسست وفق مبدأ الاستشراف المستقبلي، أي تم تأسيسها لمواجهة المخاطر و التقلبات المستقبلية المحتملة، إذ هي المؤسسات التي تؤسس للقواعد و الأعراف ومعايير السلوك و العلاقات بين الفاعلين الاقتصاديين، وهذه القواعد يمكن أن تكون رسمية كالقوانين و النصوص التنظيمية و الدساتير و غير رسمية كالقيم و الأعراف و المعتقدات، من أجل مواجهة تقلبات المستقبل و لضمان الاكتفاء للمجتمع و تلبية حاجيات وجوده و استمراره.²

5. الاتجاه السوسيولوجي :

اهتم السوسيولوجيون بكيفية التأثير المتبادل بين الاقتصاد و المجتمع باعتبار النشاط الاقتصادي بطبعه هو نشاط اجتماعي، ذلك أن الأفراد يمارسون مختلف أنشطتهم الاقتصادية من خلال شبكة من العلاقات المتشعبة تنظم و تتشكل وفق القيم الاجتماعية، أي أن النشاط الاقتصادي هو توظيف الأفراد للموارد المادية لإشباع رغباتهم و حاجيتهم بما يتوافق و المعايير الاجتماعية، حيث أن عمليات الإنتاج و الاستهلاك و توزيع الخدمات يتم فهمها و تفسيرها من خلال مفاهيم سوسيولوجية، مثل مفاهيم : السلطة، و الثقافة أي يعني التركيز على القيم و النظم المعيارية التي تؤثر على السلوك الاقتصادي وربطها بما يسميه رواد التبادل الاجتماعي الاختيار العقلاني و آليات اتخاذ القرارات، فالمؤسسة لم يعد ينظر إليها من زاوية ميكانيكية لعملية الإنتاج ولكن كمنظمة اجتماعية، وعليه يتم دراستها من خلال تنظيم السلطات، و توزيع المهام واتخاذ القرار، ومواقف تصرفات الأفراد، فالمؤسسة إذن جسم اجتماعي منظم كما عرفت مادلين قرافيتس M.grafitsse على أنها "مجموعة اجتماعية لديها هدف مشترك تتخللها علاقات و اتصالات ومعلومات".³

¹ المرجع السابق، ص 153.

² نفس المرجع، ص 158.

³ السيد الحسيني، مداخل لدراسة التنظيمات المعاصرة، مصر، 1992، ص، 7.

ثانيا-أهداف المؤسسة الاقتصادية:

1-الأهداف الاقتصادية:

من ضمن أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها المؤسسات الاقتصادية هي تحقيق وزيادة الربح أو رأس المال الذي يضمن لها الاستمرارية وتوسيع نشاطها وتحقيق المنافسة الحرة مع نفس المؤسسات، إلى جانب تحقيق الأمن الاقتصادي وبالتالي تحقيق السيادة وتوسيع العمل والعمل على تغطية جميع احتياجات السوق من السلع وتوظيف عوامل الإنتاج بشكل فعال.¹

2- الأهداف الاجتماعية:

- توفير الاحتياجات من السلع والخدمات.
- تنمية المستوى المعيشي للأفراد
- خلق الثروة و الازدهار و الرفاهية للمجتمع .
- توفير مناصب الشغل و الحد من البطالة.
- تشجيع الإبداع و الابتكار.

ثالثا: المقابلة الاقتصادية كشكل من أشكال المؤسسة الاقتصادية:

تعرف المقابلة الاقتصادية أو المؤسسة الاقتصادي كما هو متعارف عليها بأنها اندماج عدة عوامل بهدف إنتاج أو تبادل السلع أو الخدمات، وهذا في إطار قانوني ومالي واجتماعي، ومنه يمكن فهم المقابلة الاقتصادية من ثلاث أوجه هي:

1- المقابلة كهيئة اقتصادية:

وهي تنسيق عقلائي بين عوامل الإنتاج (رأس المال-العمل-العلاقات والقيم والثقافة) لإنتاج سلع وخدمات موجهة للسوق لتلبية الاحتياجات (الطلب).

2- المقابلة كمنظمة اجتماعية:

هي مجموعة من الأفراد يشتركون في منظمة مهيكلية لإنتاج السلع والخدمات، وتنظم علاقاتهم من خلال نظام السلطة متدرج مرتبط بالمهام الموكلة.

¹ محمد سعيد أوكيل، وآخرون، مرجع السابق، ص 157.

3- المقابلة كنسق:

هي مجموعة من الأنساق الفرعية المترابطة فيما بينها بالعلاقات التبادلية (نظام الموارد البشرية - نظام الإنتاج- نظام التسويق- النظام المالي- نظام المعلومات.. الخ)¹

خامسا: تصنيف المؤسسات :

وقد تصنف المؤسسة الاقتصادية وفق عدة معايير:

1- حسب القطاع الاقتصادي: حيث تصنف المؤسسة إلى ثلاثة قطاعات أساسية:

القطاع الأول: يضم المؤسسات التي لها علاقة متينة مع الطبيعة مثل: المؤسسات الزراعية والفلاحة بمختلف أنواعها ومنتجاتها، تربية المواشي، الصيد البحري، الغابات... وغيرها.

القطاع الثاني: ويتمثل في قطاع الصناعة وهو مرتبط بالأول، ويشمل مختلف المؤسسات تعمل على تحويل المواد الطبيعية إلى منتجات قابلة للاستهلاك النهائي أو الوسيط، وتشمل الصناعات المرتبطة بتحويل وتكرير المواد الطبيعية من معادن، طاقة وغيرها من الصناعات الاستخراجية بالإضافة إلى مؤسسات البناء والأشغال العمومية.²

القطاع الثالث: ويتمثل في المؤسسات الخدمية وتضم مؤسسات التسويق والتوزيع والنقل، السياحة، البنوك التامين والفنادق.

2- التصنيف حسب الحجم:

-المؤسسات الصغيرة جدا وتضم أقل من 10 عمال.

-المؤسسات الصغيرة: وتضم أقل من 50 عامل.

-المؤسسات المتوسطة: تضم من 50 إلى 250 عمل.

-المؤسسات الكبرى: تضم أكثر من 250 عمل.

3- التصنيف حسب طبيعة الملكية:

-المؤسسات الخاصة: تعود ملكياتها إلى القطاع الخاص أو أفراد أو مجموعة من المقاولين.

-المؤسسة العمومية: تعود ملكياتها إلى الدولة.

¹ محمد سعيد أوكيل، وآخرون، المرجع السابق، ص 162.

² نفس المرجع، ص 169.

- المؤسسة المختلطة: ملكياتها مشتركة بين الدولة والقطاع الخاص.

سادسا: مراحل تطور المؤسسة الجزائرية:

1- مرحلة التسيير الذاتي:

هو النموذج الأول لتسيير المؤسسة الجزائرية، ويتميز بتسيير العمال الديمقراطي للمنشآت التي هجرها المستعمر والتي تم تأميمها، كانت استجابة عفوية بطبيعة ثورية لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية فرضت العمل بهذا النمط في التسيير، وفي سنة 1963 بدا تقنين التسيير الذاتي لحماية حقوق العمال.

2- مرحلة التسيير الاشتراكي من 1971 الى 1983: بدا تطبيقه مع اعتماد قانون التسيير الاشتراكي سنة 1971، فقد تم التوجه نحو الاشتراكية بكل ما تحمله من مبادئ و أسس و مقومات، كان التوجه نحو بناء هياكل قاعدية كبرى كالمصانع الضخمة كأساس للبناء الاقتصادي و الثورة الزراعية مع مركزية التسيير و الرقابة، و تجنيد كامل الشعب في خدمة هذا التوجه المتمثل في بناء المجتمع الاشتراكي، و نظرا لعدم احتكام هذه المؤسسات الضخمة للمعايير الاقتصادية كالقرب من المواد الأولية و مشكلة النقل و المواصلات و ما يترتب عنها من نفقات و سوء تسيير، و عدم ملائمة البيئة المتواجدة فيها هذه المؤسسات إلى جانب البيروقراطية الثقيلة التي أثرت سلبا على فعاليتها، و الطابع الاجتماعي للمؤسسة الذي أبعداها عن دورها الإنتاجي، أدت هذه العوامل إلى إعادة الهيكلة العضوية و المالية لهذه المؤسسات في سنة 1983، وقد استبدل مصطلح الشركة بمصطلح المؤسسة العمومية.¹

3- مرحلة المؤسسة العمومية من 1983 إلى 1988:

مع تدهور أسعار البترول و عدم قدرة الدولة على دعم المؤسسات التي أعلنت إفلاسها عدة مرات، منحت المؤسسات العمومية استقلالية التسيير وفق قرار إعادة الهيكلة سنة 1988، فبصدور هذا القانون أصبحت المؤسسات تأخذ شكل الشركة المساهمة أو شركة ذات مسؤولية محدودة، تملك الدولة أو الجماعات المحلية فيها بصفة مباشرة أو غير مباشرة جميع الأسهم والحصص.²

4- مرحلة الاستقلالية والخصوصية :

في ظل تفاقم و تدهور الوضع الاقتصادي و تراجع كفاءة المؤسسات العمومية، حيث أصبحت عالية على خزينة الدولة، لجأت الدولة إلى سياسات الإصلاح و البحث عن أحسن السبل لبناء اقتصاد وطني عصري، و إخراج المؤسسة الوطنية من البيروقراطية الضيقة و إعطائها الحرية اللازمة لإصدار

¹ . محمد سعيد أوكيل، وظائف ونشاطات المؤسسة الصناعية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص3.

² نفس المرجع، ص 7

قراراتها و تسيير مواردها المالية، و نظرا للأزمة الاقتصادية التي عاشتها الجزائر سنة 1986 نتيجة تدهور سعر البترول و انخفاض قيمته و للضغوطات و الشروط التي فرضها عليها صندوق النقد الدولي، بدأت مناقشة قضية خوصصة و حل المؤسسات العمومية و فتح المجال للقطاع الخاص ماعدا 22 مؤسسة سميت في تلك الفترة بالمؤسسات الإستراتيجية و بدأت مرحلة التطبيق ابتداء من 1990¹.

سابعا: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الاقتصادية

تعود الإرهاصات الأولى للتراث السوسيولوجي في مجال المؤسسة إلى الثورة الصناعية وتطور العمل و ظهور مدارس الفكر التنظيمي والسوسيولوجي، وهي توليفة حقيقية بين الفكر النظري والبعدي الإمبريقي، و مع إسهامات المدارس الفكر التنظيمي المتمثلة في المدرسة العلمية و التكوين الإداري و مدرسة العلاقات الإنسانية و المدرسة السلوكية.

1. الاتجاهات الإمبريقية في دراسة المؤسسة الاقتصادية:

لقد أدت المراحل المختلفة التي مرت بها المؤسسة في تطورها لتغير المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بها، واختلفت محاولات التنظير فيها مع تغير أشكال المؤسسة من حيث الهيكلية والبناء والأهداف، وتغيرت معه الأطر النظرية والمنهجية في تحليل ومعالجة المؤسسة وانتقلنا من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة مروراً بسوسيولوجيا التنظيمات.

✓ إسهامات مدارس الفكر التنظيمي في تحليل المؤسسة:

لقد تطور الفكر الإداري والتنظيمي خلال سنوات طويلة من الممارسات الإدارية في المؤسسات الإدارية المختلفة، وأسهمت دراسات وبحوث عدد كبير من المفكرين والعلماء في إثراء المعرفة الإدارية، وهو ما نتج عنه أكثر من رافد فكري، تمثل في أكثر من مدرسة من مدارس الفكر التنظيمي، وتعد الإرهاصات الأولى للتراث السوسيولوجي للتنظيمات إلى المدارس الكلاسيكية في بداية القرن 20 التي حاولت دراسة وتحليل المؤسسة والمصنع في مرحلة سوسيولوجيا العمل.

- المدرسة العلمية أو الكلاسيكية:

ركزت المدرسة العلمية بقيادة لفريدريك تايلور في مجملها على الجوانب التنظيمية للعمل، فاهتمت بالتنظيم العلمي للعمل والكفاءة الإنتاجية مع استخدام الأساليب العلمية لرفع الأداء، التدرج الهرمي، ونطاق الإشراف، أهملت العامل البشري والتنظيم الغير الرسمي ودوره في توجيه السلوك التنظيمي، ولهذا أطلق على هذه النظريات نموذج ” الآلة من أهم روادها: فريدريك تايلور، هنري فيول وفيلبر.

¹ المرجع السابق، ص 8.

- المدرسة العلاقات الإنسانية:

جاءت كردة فعل للمدرسة العلمية، فاهتمت هذه المدرسة بالفرد وسلوكه في التنظيم، وأنه لا يمكن معالجة الفرد كوحدة منعزلة بل يجب التعامل معه كعضو في جماعة يتعرض لضغوطها وتأثيرها، وأن سلوك الفرد في التنظيم الرسمي قد يختلف عن سلوكهم الحقيقي، لذا اهتم أنصار هذه المدرسة بالتنظيم الغير الرسمي كالصدقات بين أعضاء التنظيم وتأثيرها على القيادة وعلى السلوك التنظيمي.

اهتمت مدرسة العلاقات الإنسانية بدور العلاقات الاجتماعية في التنظيم ولم تركز فقط على الجوانب التنظيمية كما هو الحال في المدرسة العلمية، واعتبرت الفرد كائن اجتماعي وليس آلة أو قطعة غيار، من أهم روادها **إلتون مايو** الذي استخلص نتائج من التجارب التي أجراها في مصانع **هاورثون**.¹

وقد شكلت هذه الدراسات التي تم إنجازها من قبل فريق البحث بجامعة هارفارد تحت قيادة عالم النفس الاجتماعي الأسترالي **Mayo E.** وأعمال الانجليزي **Oliver Shildon** نقطة الانطلاق لنشأة علم اجتماع الشغل أو علم الاجتماع الصناعي، حيث ركزت هذه الدراسات على الأبعاد السيكلوجية وخصوصا المستويات المرتبطة بالحاجات الفردية والنفسية للعامل من خلال تصور اجتماعي لمدى تأثير الحاجات النفسية وقيمتها في بناء وتشكل ممارسات وسلوكات العمال في فضاء عملهم. وقد كان لفريق بحث إلتون مايو دور هام في تقديم تصور نقدي لظاهرة البيروقراطية التي وضع أساسها فيبر وذلك بهدف لفت الانتباه لما قد تفرزه البيروقراطية الشكلية من أشكال تنظيم كامنة وموازية، وذلك انطلاقا من التركيز على مستوى حاجات الفرد في فضاء العمل.

- المدرسة السلوكية:

■ هرم ماسلو للحاجات:

ومن أشهر منظريها العالم **أبراهام ماسلو** وفي نظريته **للحاجات** يرى أن دوافع السلوك تحركه عدة عوامل وحاجات نفسية تتعدى أهداف التنظيم من الامتثال والالتزام بالقواعد واللوائح التنظيمية، حيث يتطلب فهم السلوك الإنساني معرفة الدوافع الأساسية التي تحركه وتختلف هذه الدوافع بالاختلاف الحاجة وتأثيرها، وقسمها إلى:

- **حاجات فيزيولوجية:** وتتمثل في الحاجات الأساسية لبقاء حياة الإنسان وهي نقطة البداية للوصول لإشباع حاجات أخرى وهي عامة لجميع البشر غير أن الاختلاف يعود لدرجة الإشباع المطلوبة، وتتمثل في الغذاء والنوم والزواج وغيرها من الحاجات الفسيولوجية التي يحتاجها الإنسان ليبقى على قيد الحياة أو ليعيش حياة كريمة لا ذليلة.

¹ محمد المهدي بن عيسى: "علم اجتماع التنظيم (من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة)"، ط 1، مطبعة impaplast، الجزائر، 2010، ص 245.

- **حاجات إلى الأمان:** تتمثل في سعي الفرد لتحقيق الأمن والطمأنينة له ولعائلته وهذا من خلال تحقيق الأمن في العمل سواء من ناحية تأمين الدخل أو حمايته من الأخطار الناتجة عن العمل، وعدم تحقيق الفرد لهذه الحاجات سينشغل فكريا ونفسيا مما يؤثر على أدائه في العمل لهذا على الإدارة أن تدرك أهمية حاجة العامل للأمن لشحن دافعية العمل وإثارة روح الإبداع لديه.

- **حاجات اجتماعية:** إن الإنسان اجتماعي بطبعه يرغب أن يكون محبوبا ويسعى لتكوين علاقات وصدقات مع الآخرين، وبيئة العمل التي لا تستطيع إشباع هذه الحاجات تؤدي إلى اختلاف التوازن النفسي لدى العاملين والتي تنعكس على كفاءة وأداء العمال.

- **حاجات إلى التقدير:** وهو شعور الفرد بأهميته وبقيمة ما لديه من إمكانيات ليساهم في تحقيق أهداف المنظمة.

- **حاجات إلى تحقيق الذات:** وتتمثل في تحقيق طموحات الفرد العليا من خلال تحقيق الإنجازات والأنشطة الإبداعية.¹

■ نظرية "X" و "y" لدوجلاس ماك قريفور :

ركزت على سلوك الثواب والعقاب للأفراد ومدى تأثير المكافأة و الجزاءات في العمل، حيث ركز قريفور على أهمية فهم العلاقة بين الدافعية والطبيعة البشرية، و قد بنى نظريته على أن معظم المديرين يميلون إلى وضع الافتراضات عن العاملين معهم، واختيار الأسلوب المناسب لدفعهم للعمل، وبناء على هذه الافتراضات قسم ماك قريفور العاملين إلى مجموعتين أطلق عليها الرمز "X" و "y" ووضع ميزانا لقياس الثواب والعقاب فكلما كان الإنسان أكثر إنتاجية و عطاء اتجه للجانب الايجابي و نال الجزاء على عمله و العكس صحيح، ومثل س و ع باتجاه السلوك مثلا الإنسان الكسول يقابله لإنسان الطموح قابل للتغير محب للتعلم.²

2. نظرية البيروقراطية لماكس فيبر:

ارتبط الاهتمام السوسيولوجي بدراسة التنظيمات بالمجتمعات الغربية، خاصة بأوروبا وأمريكا الشمالية، حيث عرف الفكر السوسيولوجي المرتبط بالحقل التنظيمي ازدهارا كبيرا انطلاقا من البدايات الأولى له خلال مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين. هذا الازدهار ترجمته مجموعة من الدراسات، والأبحاث، ذات الارتباط سواء بعلم الاجتماع أو بعلم النفس الاجتماعي وأيضا علم النفس، وفي هذا النطاق تبلورت سوسيولوجيا الشغل والتنظيمات والمقاولات كتخصصات علمية دقيقة حاولت التركيز على الإنسان

¹ المرجع السابق، ص 267.

² المرجع السابق، ص 271.

الفاعل والعامل كمركز محوري في التنظيم/ المقابلة بمختلف أنواعها وأشكالها. وتعتبر أعمال ماكس فيبر من أهم هذه الإسهامات وأبرزها على اعتبار أنه أول من قارب الحقل التنظيمي وفق تصور سوسيولوجي مخالف للتصورات التي كانت سائدة خاصة الاقتصادية منها، وقد استطاع فيبر تجاوزها وتقديم فهم أعمق؛ بل أغلب الأعمال التي جاءت بعده تبقى كمحاولات لنقد نموذجيه وتطويره وهو ما قام به عالم الاجتماع ميشيل كروزي على سبيل المثال لا الحصر.¹

يرى ماكس فيبر أن الاقتصاد في أي مجتمع حالة وضرورة وحتمية اجتماعية لا بد منها في البناء، حيث عبر في كتابه الشهير "روح الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية" عن العلاقة المحفزة للنجاح الاقتصادي وبروز العقلية التجارية والاقتصادية مع بعض القناعات الدينية.

✓ مفهوم التنظيم البيروقراطي عند فيبر:

تفسر البيروقراطية عند الكثير بمفهوم سلبي و تعني الروتين و ثقل الإجراءات الإدارية، و هو عكس ذلك بمفهومها الإيجابي عند ماكس فيبر حيث هي مجموعة النصوص التنظيمية و القواعد التي توجه السلوك التنظيمي و تلغي الطابع الشخصي في التنظيم، وهي اللوائح التي تحمي التنظيم من الفساد و التسبب و الانحراف، و هي كذلك كل تنظيم مكتبي أو جهاز إداري يعتمد على سلطة القوانين و القواعد الرسمية التي تحدد التسلسل الهرمي للمهام و السلطة، و يعتبرها فيبر أحسن أسلوب يمكن التنظيم من بلوغ أهدافه و تحقيق فعاليته، ويحدد فيبر أن هذا النمط من التنظيم ليس خاصا بالإدارة العامة، بل يخص أيضا التنظيمات الرأسمالية الكبرى، وتعزز البيروقراطية بالسلطة و التي أطلق عليها العنف المشروع و هي القدرة على التأثير في الآخرين و فرض التعليمات والأوامر.²

✓ مزايا التنظيم البيروقراطي:

- تمثل الإدارة البيروقراطية النمط الخالص للهيمنة الشرعية أي سلطة القوانين.
- تتدرج السلطة المبنية على الكفاءة وليس على الأصل الاجتماعي.
- تقسم المهام إلى وظائف متخصصة تسير بموضوعية وكفاءة وأقدمية أي تلغي الطابع الشخصي في التنظيم.
- التخصص في العمل- ربح الوقت- تخفيض التكاليف- الوضوح ووحدية الأوامر و الرئاسة.
- الفصل بين المصلحة الشخصية وأملاك الدولة.

¹ حسين عيد الحميد رشوان: "علم اجتماع التنظيم"، مؤسسة شباب الجماعة، مصر، 2004م، ص 18 و 17.

² نفس المرجع، ص 34.

- البيروقراطية نمط إداري ونمط من التنظيم مؤسس على عقله الأهداف.

✓ **عيوب التنظيم البيروقراطي والانتقادات الموجهة لفيبر:**

- عدم اهتمام فيبر بالتنظيم غير رسمي والعلاقات الإنسانية.
- العامل فاعل وليس خاضع للتنظيم له القدرة على التفكير والإبداع.
- أهتم بتسيير العمل من منظور النسق المغلق أي الظروف الداخلية للتنظيم وأهمل علاقته بالبيئة الخارجية.
- السلوك التنظيمي يتأثر بسلوك الفرد وسلوك الفرد يتأثر بالمحيط الاجتماعي.

✓ **مفهوم السلطة عند فيبر:**

هي الحق القانوني في التأثير في الآخرين عن طريق اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والتوجيهات وهي كذلك القوة الشرعية التي تجعل المرؤوسين يمثلون لها، أي للرئيس والمسير الحق في فرض القوانين والتعليمات على المرؤوسين والعمال.

قد اقترح فيبر في كتابه الاقتصاد والمجتمع عدة أنماط من العلاقات الاجتماعية داخل التنظيم، وخاصة أشكال الهيمنة السياسية أو السلطة، وقسم السلطة في عددها ثلاثة: الهيمنة العقلانية والهيمنة التقليدية والهيمنة الكاريزمية.¹

- **الهيمنة أو السلطة التقليدية:**

تتأسس مشروعية هذا النمط على الصفة المقدسة للتقاليد داخل تنظيم معين والهيمنة التقليدية مرتبطة بالمكانة الاجتماعية للقائمين على السلطة، فالقائد التقليدي يصدر أوامره معتمدا على مكانته الوراثية وغالبا ما تعبر عن رغباته ولهذا تتسم بالطابع البدائي وغير موضوعي والأداء فيها غير كفء لاعتمادها على شرعية الجاه والنسب والوراثة.

- **السلطة الملهمة أو الكاريزمية:**

يقصد بالكاريزما مجموعة من الصفات والخصائص غير الاعتيادية التي يتميز بها شخص مثل الأبطال والزعماء والقادة الروحانيين، وتقوم على الولاء المطلق لقوة شخصية معينة ذات هالة قوية ويحتذي بها لما لديها من مثل وقيم جذابة، وتقوم سلطة هذا النمط على قوة القائد عبر قدرته على الإقناع وجمع من حوله، وهي مواصفات تفوق مواصفات الأشخاص العاديين، وتنقاد لها الجماهير ليس لأسباب موضوعية بل إعجابا بشخصيتها.

¹ Weber, Max. *The Theory of Social and Economic Organization*, New York, 1969, P. 329.

- السلطة العقلانية / القانونية:

يرتبط هذا النموذج داخل أي تنظيم بسلطة القانون الواضح والصريح وغير الشخصي. إن السلطة العقلانية حسب فيبر تستمد شرعيتها من القانون والقواعد والنصوص القانونية... إن السيطرة العقلانية هنا هي من مميزات التنظيمات والمجتمعات الحديثة، والممارس للسلطة في هذه الحالة يستند لهذه القواعد والقوانين غير الشخصية، من هنا تكون سلطته محدودة.

ويعتقد فيبر أن من أهم الأسباب التي ساعدت أوروبا في الانتقال من مرحلة النظام الإقطاعي إلى مرحلة الدولة في صورتها الديمقراطية بعد مرورها من الملكيات المطلقة هو تجريد السلطة من طابعها الشخصي وإضفاء الطابع المؤسساتي العقلاني.¹

3. المنظور الصراعى والنظرية الماركسية:

ظهرت الماركسية كمذهب و تيار فكري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، وقد استوحى ماركس نظريته من التراث الفكري للفلسفة الكلاسيكية الألمانية، والاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي، و الاشتراكية الفرنسية، فجاءت نظريته مادية صرفة بعيدة عن الميتافيزيقية والمثالية، مركزة بحثها على ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج - الطبقة الرأسمالية- وعلى طبقة البروليتاريا الكادحة، و تطور المجتمع من طبقة لأخرى، و الذي يطبعه الصراع بين هذه الطبقات، كما وضع ماركس قوانين جدلية و تاريخية اتخذها منهجا لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي، لكن طموحه اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب و انتقاد بعض المفكرين لنظريته.

✓ مفهوم الاغتراب في العمل عند ماركس:

عند ماركس تنطبق فكرة الاغتراب تماما على البيروقراطية، أي تقسيم العمل يؤدي إلى اغتراب العامل عن بيئته، عن التكنولوجيا و عن وسائل العمل، و يظهر عندما تستحوذ طبقة معينة على وسائل الإنتاج، و حسب ماركس يمثل النظام الرأسمالي ذروة الاغتراب باعتباره سوق ضخمة يصنع قوانينه الخاصة بعيدة عن مقاصد الإنسان، ترتب عن زيادة تقسيم العمل في المصانع إلى تبسيط الأعمال و تقليل نطاق مسؤولية العامل، ويؤكد ماركس أن البيروقراطية كتنظيم تحطم كفاءة الفرد و تعوق قدرته على المبادرة و الإبداع و تحمل المسؤولية، ويعتبر ماركس أن البيروقراطية أداة الطبقة الرأسمالية لتدعيم مصالحها، و بالتالي قيام الثورة البروليتاريا وظهور المجتمع اللاتقبي سوف يحطم جهاز الدولة البيروقراطي.²

¹ المرجع السابق، ص 34.

¹ محمد على محمد، علم الاجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص160.

✓ مفهوم العمل عند جورج فريدمان:

جورج فريدمان Georges Friedmann عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي عرف بدراساته المتخصصة في مجال علم اجتماع العمل، وانتشرت أعماله بعد الحرب العالمية الثانية، كما عرف عنه نقده اللاذع لحركة الإدارة العلمية وتفتيتية العمل، الفكرة الأساسية التي شغلته حول تساؤلها لأساسي «إلى أين يمضي العمل الإنساني» «Où va le travail humain» ، وتطور نموذج التفانة لأن يصبح عالميا.

العمل المفتت أو المجزئ عند فريدمان :

يجد فريدمان أن نظام العمل الحرفي التقليدي ينطوي على أبعاد أخلاقية وإنسانية واجتماعية بالنسبة إلى الأفراد الذين ينخرطون فيه لا تظهر واضحة في نظام تفتيت العمل وتجزئته و هذا لإيمانه العميق بفكرة العمل الحرفي الحر والماهر، حاول فريدمان في مؤلفاته العديدة الإجابة عن سؤال مهم شغل المفكرين الاجتماعيين والاقتصاديين في تلك الأونة، وهو ما المقصود بتعبير «العمل»؟، وفي سياق محاولاته يجد فريدمان أن العمل هو السمة التي تميز الجنس البشري عن الكائنات الحية الأخرى، و يقول فريدمان أن «العمل» لا يصبح سلوكا إلا حين يعبر عن الميول الشخصية الدفينة و يساعد على تحقيقها، فمن خلال العمل يرتفع الإنسان فوق مستوى الحيوانية و هو العامل الأساسي في تفتح الحضارات و قاسماً مشتركاً بين البشر، وشرطاً أساسياً لكل حياة اجتماعية وهو يرتبط بالمنفعة التي تعد واحدة من مزاياه الجوهرية.¹

وفي ضوء هذه التصورات حول العمل يأخذ فريدمان بنقد مبدأ تفتيتية العمل، ونظرية الإدارة العلمية لتايلور F.Taylor ، فالعمل يجب أن يتناسب مع ميول واهتمامات العامل، وأن يوفر الشروط الملائمة من النواحي النفسية والاجتماعية والتقنية لتجنيب العامل احتمال الشعور بالاستغلال والسأم والملل وتعزيز شعوره بالاستقرار، ويكافأ على عمله بما يناسب مؤهلاته وجهوده.

ويؤكد فريدمان على أهمية الحرية في العمل، ويرفض مبدأ الإكراه والضغط الذي يؤدي إلى مزيد من الاغتراب والخضوع لمظاهر العبودية، ويشير هنا إلى التايلورية taylorisme و يجد فريدمان أن العمل بوصفه نشاطا إنسانيا، ينطوي على مجموعة من الجوانب المهمة والأساسية المتمثلة بالجانب التقني، ويراد به استخدام الفرد الأدوات والتقانات ، والجانب الفيزيولوجي و هو الجهد المبذول الذي يحتكم إلى مجموعة من العوامل التي تختلف من عامل إلى غيره ومن مهنة إلى أخرى، والجانب النفسي

² - على الشرقاوي ، التنظيم، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، دون سنة. ص131.

الذي يتفاعل العامل من خلاله مع العمل نفسه ومع الظروف المحيطة به من حيث الرضا عنه وتقبله وإتقانه، والجانب الاجتماعي الذي يسهم في تحديد المكانة التي يشغلها الفرد في محيطه الاجتماعي.¹

إشتهر **فريدمان** بنبرة متشائمة ذات نزعة ماركسية في تباين التأثيرات السلبية للتطور التكنولوجي على العمل الإنساني، والراجع لإقحام سلاسل العمل والأجهزة والآلات التقنية والأوتوماتيكية لكل قطاعات العمل، وأدى هذا التطور إلى تراجع ورش العمل ليحل محل ذلك العمل المجزئ أ و المفتت المنجز تحت رقابة هياكل مختصة، فانخفضت برأيه الفجوة القيمة التي كانت تقترب بدراية العامل و معرفته الحميمة بالمواد التي كان يشتغل عليها و تحويلها من مرحلة إلى مرحلة ضمن مسار تصنيعه، و الذي تحول مع تطور الميكنة إلى سد بؤر يحول حسب الحاجة لسد ثغرة في سلسلة طويلة لا يطلب منه أية معرفة بماهيتها .

✓ الماركسية المحدثّة وتحليلهم للمؤسسة الاقتصادية:

الماركسية المحدثّة:

جاء بعد ماركس تلامذته و بعض المفكرين المعجبين بنظريته الذين اتبعوا خطاه و درسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية التقليدية عليه، فوجدوها تضم بعض النقائص فسعوا لتحديثها باكتشاف طبقة وسطى في المجتمع، و إضافة مفاهيم غابت عن كارل ماركس مع حفاظهم على أساس النظرية الماركسية التقليدية، و قد حافظت الماركسية المحدثّة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف في معنى الصراع الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العمل أو أصحاب السلطة الذين يمتلكون وسائل الإنتاج من أجل أن تصبح هذه الوسائل ملكا لجميع الأفراد. أما الماركسيون المحدثون فيرون أن الصراع في طياته يحمل مضمون احترام للنظام والسلطة واعتبار الصراع أداة للتغيير والتحديث.

✓ رالف داهرندروف والصراع في مجتمع ما بعد الحداثة:

- عوامل ظهور المجتمع ما بعد الرأسمالي وتعديل أفكار ماركس:

- ضعف قوة رأس المال.
- ضعف قوة العمال.
- ظهور طبقة وسطى بين طبقتي الرأسماليين والعمال.
- نمو الحراك الاجتماعي بين مختلف المهن الاجتماعية نتيجة تزايد التعليم و التغيرات الاجتماعية.

¹ المرجع السابق، ص 154.

-نمو المساواة الاجتماعية و الاقتصادية نتيجة لجهود الدولة في تحقيق معدلات الحد الأدنى للمستوى المعيشي للمواطنين.

- إسهامات داهندورف:

- فهم علاقات العمل من خلال الصراع بين جماعات المصالح والمنافسة.
- سلوك الأفراد تحركه المنافسة والمصلحة أمام الموارد النادرة.
- الصراع من أجل الموارد النادرة والسلطة من موارد النادرة.
- علاقات السلطة تمثل السمة الأساسية لعالم الشغل.
- انتقلت السلطة من أصحاب رؤوس الأموال إلى طبقة المديرين والكفاءات.
- حرية العمال في التعبير عن مصالحهم وحقوقهم وإنشاء نقابات تقلل من شدة الصراع.
- وجد نوعان من الصراع الظاهري والخفي يسير العلاقات داخل التنظيم.
- هناك مصالح كامنة وظاهرة تحرك سلوك الأفراد.
- يرجع الصراع إلى عدم المساواة في توزيع السلطة بين الأفراد داخل التنظيم وليس الملكية.
- يميز بين جماعتين جماعة أصحاب المناصب المالكة للسلطة والجماعة الخاضعة.¹
- إسهامات لويس كوزر:
- يرى أن صراعات العمل أساسية في كل تنظيم حتى يستمر البناء التنظيمي في أداء دوره.
- اهتم بالوظيفة التكاملية للصراع بتحليل وتفسير الصراع في المؤسسات.
- يتطور الصراع بسبب امتيازات السلطة وندرة الثروة.
- ركز على الدور الإيجابي للصراع في دعم البناء التنظيمي لتحقيق التوافق والتكيف.
- أخرجتنا نظرية كوزر من الصراع الطبقي إلى الصراع بين مختلف الفئات الاجتماعية والمهنية.²

4. المنظور الوظيفي للمؤسسة الاقتصادية:

✓ مفهوم العمل عند إميل دوركايم:

- التقسيم الاجتماعي للعمل والتضامن الألي:

حسب دوركايم محرك التغير الاجتماعي هو التقسيم الاجتماعي للعمل، حيث يرى دوركايم أنه توجد علاقة بين زيادة حجم السكان وتقسيم العمل الاجتماعي والتغير الاجتماعي، أين انتقل المجتمع من المجتمع البسيط المتجانس إلى المجتمع المتطور والمعقد والمتباين، ويتميز في المجتمع التقليدي

¹ المرسى جمال الدين محمد وادريس، ثابت عبد الرحمن: السلوك التنظيمي، نظريات ونماذج وتطبيق علمي لإدارة السلوك في المنظمة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 164.

² المرجع السابق، ص 166.

بالعلاقات المباشرة الطبيعية والبسيطة، وبالتالي تقسيم العمل يكون بسيط من زراعة ورعي وصيد ويسود فيه تضامن ألي.

- التضامن العضوي عند دوركايم:

كلما تطور المجتمع زادت الكثافة السكانية و كلما أصبح أكثر تعقيدا و ظهرت الحاجة لتقسيم العمل و إحداث تخصصات جديدة لتحقيق التكامل و لاندماج الاجتماعي، أي يحدث الاندماج من حيث الاعتماد المتبادل و بالتالي سمة المجتمعات الحديثة التباين و يسود فيها التضامن العضوي، حيث حسب دوركايم تقسيم العمل يؤدي إلى الازدهار و التغير الاجتماعي و ليس للاغتراب و الصراع كما يدعي ماركس، و النمو و تزايد تقسيم العمل يؤدي إلى زيادة التضامن الاجتماعي و ليس إلى صراع المصالح، فلسنا بحاجة إلى ثورة أو صراع لإعادة الترتيب الاجتماعي بل يكفي تدعيم المعايير الأخلاقية التي تتكيف مع ظروف المجتمع.¹

5. التحليل الاستراتيجي لميشال كروزي:

يعتبر ميشال كروزي *Michel Crozier* (1922- 2013) أحد رواد التحليل الاستراتيجي في سوسيولوجيا التنظيمات، ومن بين علماء الاجتماع الذين تخطت شهرتهم حدود فرنسا، ويرى أن وظيفة السوسيولوجي هي البحث عن علاقات السلطة داخل أي تنظيم، ويعد ميشال "كروزي" مؤسس التحليل الاستراتيجي حيث طور اقتراب السيرورات التنظيمية المبنية على السلطة.²

حاول كروزي من خلال مقارنته أو تصوره الجديد لعلاقة الفرد بالتنظيم التوفيق بين الاتجاهين البارزين في تفسير السلوك الاجتماعي:

الاتجاه الأول:

والذي يفسر السلوكات الاجتماعية انطلاقا من الحتمية الفردية، بمعنى تأثير التاريخ الشخصي كالوسط الاجتماعي العائلي والطبقي في سلوكات وأفعال الفرد، وهو ما يمكن اختصاره في مفهوم Bourdieu الهابتوس Habitus

الاتجاه الثاني:

وهو ما يعرف باتجاه النزعة السوسيولوجية ويمثله " دوركايم " هذا التوجه يحدد الفرد في يد الوعي الجمعي، وينفي على الفرد القدرة على الاختيار وتبني القرارات والإبداع.

¹ جلبي، عبد الرزاق.: الاتجاهات الأساسية نظرية في علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص 87.

² Michel Crozier et E.Friedberg ,L'acteur et le système, PP :183-84

حاول **crosier** التوفيق بين هذين التصورين مقدما في خضم ذلك انتقادات للتصور البيروقراطي، بمعنى أن العلاقة بين التنظيم والفرد هي وليدة لعبة Jeu بين طرفين في التنظيم من خلال الضوابط الرسمية التي يكون هدفها تنظيم سلوكيات الأفراد مما يخلق عوائق أمام الفاعل، وهذا الأخير بهدف تجاوزها يكون أمام ضرورة تبني استراتيجيات معينة تختلف من فاعل إلى آخر انطلاقا من الكفاءة المعرفية من جهة والظروف التنظيمية التي يعيشها الفاعل من جهة أخرى.

في مقاربة التحليل الاستراتيجي لا تنتظر للإنسان على أنه آلة سلبية، ولا هو عاطفي ولا خاضع للتنظيم رسمي البيروقراطي يهمل تأثير المحيط الاجتماعي، ولا يقتصر دوره على بناء علاقات القوة والصراع بل هو فاعل له دور اجتماعي وله هامش من الحرية والمبادرة، وأهداف خاصة به يسعى لتحقيقها يمكن أن تتوافق أو تختلف عن أهداف التنظيم.

✓ مسلمات التحليل الاستراتيجي:

تقوم نظرية التحليل الاستراتيجي على أربع مسلمات أساسية:

المسلمة الأولى: التنظيم هو بناء والفاعلون فيه هم من يؤسسون الإجابات على الاكراهات التي يواجهونها.

مسلمة الثانية: حسب كروزي إن الأفراد داخل التنظيم لا يقبلوا أن يعاملوا كأدوات ووسائل بهدف تحقيق أهداف التنظيم، وهذا مفاده أن لكل منهم غاياته وأهدافه الخاصة، إن هذا الطرح لا يعني حتما أن الأهداف الخاصة متناقضة ومتعارضة مع أهداف التنظيم، وتعني هذه المسلمة أن أي تنظيم مهما وصلت مراقبته وإخضاعه لأفعال المنتمين إليه فإن هذه العقلانية تبقى محدودة وغير مطلقة.¹

المسلمة الثالثة: إن الفاعل داخل التنظيم يتمتع بنوع من الحرية، وهذه الأخيرة تمنح له درجة من الاستقلالية عن التنظيم، مما يمكنه من الحصول على قدرة الاختيار في أن يسهم ويشارك أو العكس من ذلك، حتى وإن كان مفروض عليه المشاركة، إن الاستقلالية هنا تعطيه إمكانية تحديد مستوى المشاركة، فالتنظيم يسعى إلى الحد من درجة هذه الاستقلالية والفاعل يحاول انطلقا مما يتوفر عليه من قدرات أن يعزز هذه الاستقلالية أو يحافظ عليها.²

المسلمة الرابعة: يعتبر كروزي أن الاستراتيجية التي يختارها الفاعلين، سواء في علاقتهم ببعضهم البعض أو في علاقتهم بالتنظيم تتميز بالعقلانية، إلا أن هذه العقلانية محدودة وذلك راجع بطبيعة الحال إلى وجود استراتيجيات أخرى مضادة، وهنا لا يمكن لأي فاعل مهما كانت له القدرة أن يجد الوقت

¹ المرجع السابق، ص 207.

² المرجع السابق، ص 212.

والوسائل التي تمكنه من التوصل إلى حل عقلاني أو أمثل بهدف تحقيق أهدافه، وهنا يكون هذا الفاعل أمام حل مرضي نسبيا أو أمام الحل الأقل ضرارا بالنسبة إليه.¹

✓ المفاهيم الأساسية في التحليل الاستراتيجي:

الفاعل: Acteur: التنظيم أو المقولة تتفاعل داخله مجموعة من العناصر، الفاعلين الاجتماعيين، والفاعل قد يكون فردا أو جماعة، وهذا الفاعل يتبنى استراتيجية معينة بهدف توفير أكبر الحظوظ الممكنة للربح والمنافع الذاتية، الاستراتيجية لا تكون بالضرورة واضحة وواعية ضمن الفرد ويتم شرحها من بعد ما يمر الفاعل للممارسة.

إن هذه الاستراتيجية ترتبط بعقلانية محدودة ومتعددة باختلاف الوضعيات التي يتموضع فيها الفاعل الاجتماعي، فداخل المقولة يتحدد الفاعل الاجتماعي من خلال تفاعله مع الآخر، وقد يتكتلوا في فاعل اجتماعي واحد بهدف تحقيق هدف معين وحسب وضعية معينة، لكن بعد تحقيق هدف هذا الفاعل، يتفكك من جديد ليعطي فاعلين اجتماعيين كل مستقل وكل له رهاناته الفردية، والاستراتيجية تتحقق عبر الوضعية والإكراهات ثم العقلانية، إن استراتيجية الفاعل حسب كروزي تبقى كل تصرف ذو معنى حتى لو لم يكن مرغوبا فيه، أو كان مصدره من الفاعل عن غير وعي.²

السلطة: Pouvoir: تعد السلطة من المفاهيم الأساسية عند كروزي، وهي لا تأتي من الموقع الهرمي الذي يحتله الفاعل، بل انطلاقا من التصورات والتمثيلات التي يصبها الأفراد على هذا الفرد، وليس ما يخوله القانون من الحق في إعطاء الأوامر في الإدارات. إنها نسق يحدد العلاقات بين العمال والإدارة وهي القدرة على التأثير، إن السلطة هنا ليست صفة بل إنها علاقة تبادل يتم التفاوض بخصوصها. إن السلطة كمفهوم عند كروزي تبقى عنصرا أساسيا في التحليل السوسيولوجي الكروزي، وهذا ما نجده بارزا عند الرجوع إلى أعماله، خاصة منها مؤلفه الموسوم بالظاهرة البيروقراطية وأيضا مؤلفه الفاعل والنسق، وحسب كروزي فالسلطة تشمل أو تستلزم دائما إمكانية أن بعض الأفراد أو المجموعات لهم قدرة التحكم في أفراد أو مجموعات أخرى وهذا التحكم يقصد به الدخول معهم في علاقة، وهذه الأخيرة تتطور في خضمها سلطة البعض على البعض الآخر، إن السلطة عند كروزي ليست صفة أو ميزة يتسم بها الفاعلون ولكنها علاقة تبادل تتأسس انطلاقا من التفاوض بين شخصين على الأقل، ويحدد كروزي أربع مصادر للسلطة وهي كالتالي:

- امتلاك الفاعل للكفاءة ولقدرات تخصصية من الصعب تعويضها.
- التحكم في مناطق الظل المرتبطة بعلاقات التنظيم بسياقه الخارجي.

² نفس المرجع، ص 215.

³ نفس المرجع، ص 222.

- التحكم في قنوات التواصل وتدفق المعلومات بين مختلف وحدات وأعضاء التنظيم.
 - التحكم في القواعد التنظيمية.¹
- مناطق الظل: Zone d'incertitude** هي المصدر الذي يستمد منه الفاعل سلطته على الآخرين، فالجانب الرسمي داخل التنظيم لا يستطيع أن يقن ويهيكل كل الجزئيات والتفاصيل بهدف الحد من درجة حرية الفاعل وتقويض استقلاليتة، وهذا يجعل التنظيم يترك فراغا أو منفذا يعمل العامل على استغلاله في بناء استراتيجية معينة، إما هجومية أو دفاعية، إن هذا الاستغلال لمناطق الظل من قبل فاعل معين يمنحه الأسبقية عن باقي الأطراف المتفاعلة معه في تلك العلاقة التبعية التي تجمعهم ببعض البعض داخل المجال التنظيمي وتصبح بالنسبة إليه مصدرا للسلطة، وتزيد أهمية منطقة الظل وتنقص حسب درجة تبعية الأفراد الآخرين إليه وحسب درجة سلطته عليهم وكذلك من عدم قدرة هؤلاء على الاستغناء عليه أو على الكفاءة والقدرة التي يمتلكها، وهذه الكفاءة والقدرة لها مصادر أساسية هي:²
- الكفاءة والقدرة المهنية المتميزة في القضاء على مناطق الظل الداخلية للنسق.
 - القدرة والكفاءة العالية أو النوعية في علاقتها مع السياق الخارجي للتنظيم.
 - امتلاك المعلومات وتدبيرها لكن بشرط أن تكون هذه المعلومة تشكل رهانا حقيقيا بالنسبة للأطراف الأخرى.
 - التمسك الحرفي بتطبيق وتنزيل القانون الذي يمكن الفاعل من امتلاك قدرة دفاعية أو هجومية انطلاقا من الوضعية التنظيمية التي يتموقع فيها.

النسق الفعلي للأفعال: Système d'action concret:

كل تنظيم يتكون من مجموعة معينة من الفاعلين، وهؤلاء الفاعلين يعملون على هيكلة وتنظيم علاقاتهم إما عن طريق الترابط المتبادل وإما عن طريق التفاعل المتبادل، وهذا يحدث في الوضعية المستقرة للتنظيم، وهنا يكون النسق الملموس للأفعال هو تلك الكيفية التي يهيكل بها الكيان البشري في التنظيم باعتبارهم فاعلين اجتماعيين علاقاتهم الداخلية بمعنى آخر: الطريقة التي ينظم بها الفاعلون نسق علاقاتهم التفاعلية بهدف مجابهة ومعالجة مختلف الإشكالات التدييرية والتسييرية والانتاجية، وهؤلاء الفاعلين حين قيامهم بذلك لا يكون وفق صورة حيادية ومجردة ولكن وفق أهدافهم التي تكون ضمنيا أو علنيا متوافقة مع غايات التنظيم، وهذا النسق الفعلي للأفعال يشمل بدوره نسقين فرعيين هما:

¹ المرجع السابق، ص 223.

² نفس المرجع، ص 229.

أ- **النسق الفرعي لضبط العلاقات: Le système de régulation des relations** مجموعة القواعد والضوابط التي يتم إنتاجها من قبل الأفراد داخل التنظيم، وهدفها حل ومعالجة المشاكل اليومية للتنظيم من جهة أولى، وتوجيه سلوكياتهم وأفعالهم في علاقاتهم ببعض البعض من جهة ثانية، وفي علاقتهم بعملهم أو موضوعاتهم اليومية من جهة ثالثة، فمثلا إذا وقع عطل في آلة من الآلات ماذا يفعل العامل المكلف من أجل مواجهة هذه الإشكالية الإنتاجية، هل يتصل بمسئوله المباشر؟ أو بالعون المعني؟ أو بالمسئول العامل المعني؟ إلخ إذن هناك نسق من القواعد والقوانين مهما كانت جزئية وغير مشكلة بصورة رسمية، فهي تعمل على ضبط العلاقة بين الفاعلين المتواجدين داخل المنظمة وهذا ما يطلق عليه بالنسق الفرعي لضبط العلاقات.¹

ب- **نسق التحالفات : Système des alliances** وهو النسق الذي يحكم التحالفات بين الفاعلين داخل التنظيم، بحيث في هذا الشكل من العلاقات فإن الفاعل المعين من أجل قضية معينة فإنه يعرف جيدا من هو الحليف أو الحلفاء الذين سيساندونه، فإن التحالفات داخل المؤسسة ميزتها الأساسية أنها ظرفية ومرتبطة بقضية محددة وعلى أساسها يتم تحديد كيف أن المجموعة تعالج قضاياها المطروحة عليها، انطلاقا من أهدافها الخاصة وأهداف المجموعة المنتمية إليها، فالنسق الفرعي للتحالفات ضروري في المؤسسة لكون أنها معرضة دائما لعدد كبير من حالات الارتباب Incertitudes والحلول المقترحة لهذه الارتبابات ليست بديهية أو مبرمجة مسبقا مما يجعل الفاعلين يتجابهون و يتنازعون بسببها لفرض الحلول التي يراها كل فاعل (سواء كان فردا أو مجموعة) بأنها هي المناسبة، وذلك كما قلنا مع الأخذ بعين الاعتبار استراتيجياتهم الخاصة سواء للمحافظة على وضعياتهم في التنظيم كما هي أو لتعظيمها.²

العقلانية: Rationalité : وتعني القدرة على ترشيد الموارد المادية والفكرية لبلوغ أهداف معينة وليس هناك عقلانية وحيدة، لأن هناك وسائل واستراتيجيات متعددة لتوظيف الموارد بغية الوصول إلى الغايات وتحقيق النتائج.

التنظيم Organisation : التنظيم لا يمكن تعريفه كأنه جماعة من الأفراد، إنه الفضاء الذي تنسج فيه علاقات السلطة، وعلاقات التفاعل بين التأثير والتأثر، التسويق والتبادل التجاري والحساب ترشيد الموارد.

إن التنظيمات/ المقاولات ليست آليات الضغط والإكراه كما تظهر لمنتقديها، فعلاقات الصراع والتناظر ليست موجودة وفق مخطط قبلي، والمقابلة ليست مرتبطة بالصراع لكنها تشكل ذلك الفضاء الذي يتم فيه التعبير عن التناقضات والرهانات المختلفة، لكن في ذلك الوقت هناك تنسيق بين الأفراد، إن التنظيم

¹ المرجع السابق، ص 232.

² نفس المرجع، ص 233.

لا يمكن تعريفه تعريفا ماديا كتحديد عيني، بل هو شيء يبني اجتماعيا وبه رهانات مختلفة ومظاهر للتنسيق، يعتبر كروزيي التنظيم ظاهرة سوسيولوجية وهو بناء اجتماعي يوجد ويتغير فقط لكون أنه يستطيع الاستناد إلى ألعاب تمكنه من الاندماج مع استراتيجيات الفاعلين به، كما أنه يضمن للمشاركين استقلاليته كفاعلين أحرار ومتعاونين.¹

الانتقادات الموجهة لمقاربة التحليل السوسيولوجي:

إن إسهامات م. كروزيي في حقل سوسيولوجيا التنظيمات تبقى ذات عمق سوسيولوجي هام، لقد أسهم التحليل الاستراتيجي النسقي بلا شك في تجديد سوسيولوجيا التنظيم انطلاقا من مفهوم علاقات السلطة، غير أنه بصفة عامة يتغاضى عن مصادر التفاوت في علاقات السلطة ومعنى ذلك أنه لا يتطرق إلى المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والسيكولوجية والديمقراطية وغيرها لهذا التفاوت في علاقات السلطة، وبتعبير آخر يتجه تحليل التنظيم الاجتماعي للنزاعات ولعلاقات السلطة إلى الالتفاف حول نفسه دون مرجعية للعوامل الخارجية، يقول كروزيي وفريدبارغ إن “القوة والثراء والسمعة والسلطة، وباختصار كل موارد يكتسبها أولئك أو هؤلاء لا تتدخل إلا حين تمنح حرية فعل أكبر”. ولكن من أين تأتي هذه الموارد التي يكتسبها هؤلاء وهؤلاء؟ هل تظهر في علاقة السلطة أم سابقة لها؟ يعترف الكاتبان بأنهما يدركان “التفاوت الهيكلي الذي يميز إمكانيات الفعل المتعددة لمختلف “اللاعبين” داخل التنظيم” لكنهما لا يوليان له الاعتبار في نموذجيهما، وذلك ما يلاحظه بيار رول (P.Rolle) حين يقول أن: “الورشة ما هي إلا بلورة نشاطات ضمن نسق يتجاوزها إلى حد بعيد جدا، والذي يرسم الشروط الأساسية للتفاعلات التي نلاحظها فيه نسق لا يمكن للمنظم تجاهله حتى وإن لم يستطع تحويله”. وعلى هذا الأساس تقوم الفكرة القائلة بإمكانية وجود تسلسل هرمي لعلاقات سلطة تحدها عوامل خارجية عنها، وذلك ما لا يأخذه تحليل كروزيي بالحسبان، ومن الانتقادات الموجهة لكروزيي أنه ركز على اللعب في التنظيم ومناطق الظل كمصادر للسلطة مع إغفال موارد خارجية مثل رأس المال والقوى البوليسية والانتماء الطبقي والطائفي أو كذلك التأثير الشخصي من طابع مادي وسيكولوجي، وهذا ما ذهب إليه Saintsaulieu.²

5. المدخل الثقافي في تحليل المؤسسة الاقتصادية:

إسهامات العالم Renault saintsaulieu

ينظر المدخل الثقافي إلى التنظيمات والمؤسسات على أنها هيئات للتنشئة الاجتماعية ومكان لغرس القيم والمعايير في تنظيمات العمل وفي هذا يقول Saint Saulieu في كتابه الهوية في العمل: «إن

¹ المرجع السابق، 236.

¹ المرجع السابق، ص 239.

التنشئة الاجتماعية هي عملية تشريب أو بناء لهوية معينة، الذي يعني تنمية روح الانتماء وبناء علاقة مع الآخرين في العمل وهي بذلك منشأة للسلوك التنظيمي.¹

حسب " سانسوليو " النشاط الاقتصادي هو نشاط اجتماعي أي:

- تفسير السلوك الاقتصادي من خلال المفاهيم السوسيولوجية، كتحليل عملية اتخاذ القرار والسلطة، والاتصال.

- هي كيان للتشكل الاجتماعي أي تشكل الروابط والعلاقات الاجتماعية وإعطاء هوية أي الشعور بالاعتزاز للانتماء والانتساب للمؤسسة.

- هي كيان اجتماعي منتج للثقافة ومكان لبناء الشخصية أي غرس القيم ومعايير السلوك.

إن سيولوجيا المؤسسة لا تنظر للمؤسسة على أنها:

- وحدة اقتصادية أو تنظيمية تتوقف فعاليتها على مدلى قدرتها على تقسيم العمل وتوزيع المهام.

- أو ضبط الاستراتيجيات وتحقيق الأهداف كما هو الحال عند كروزي.

- أو تنظيم بيروقراطي مغلق كما تصوره فيبر.

- أو مكان للانفصال والاغتراب كما هو الحال عند ماركس.

- أو كائن حي و عقل مدبر كما عرفه تشستر برنار.

- أو مكان لفرض النفوذ والسلطة الوجه القبيح للمؤسسة عند مورغان.

بل تكمن قدرتها على مدى إنتاجها لثقافة وعطائها لهوية، فالمنظور الثقافي يهتم بدراسة المعتقدات والقيم والرموز والأفكار السائدة بين الأفراد داخل التنظيم والتي تحدد أهداف المؤسسة.²

أي أن الطريق الذي انتهجه Saint Saullieu في دراسته للمؤسسة بمكوناتها وعملاتها وتغيرها وديناميكياتها وتطورها هي توظيف المدخل الثقافي في تحليله للمؤسسة، أي يركز على ثقافة المؤسسة كمحرك لسلوك الأفراد لما لها من دور في الاحتواء والاندماج والضبط الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي.

²Sainsaulieu. R, **Identité Au Travail**, Presse de la fondation nationale des sciences politiques , Paris, 1988, p 14.

¹ Sainsaulieu R. (1987), **Sociologie de l'organisation et de l'entreprise**. Ed. Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques & Dalloz, Paris.p 55 .

المحور الخامس:

المؤسسة التربوية

المؤسسة التربوية والتعليمية

أولاً: ماهية المؤسسة التربوية والتعليمية:

المؤسسة التعليمية هي بنية اجتماعية مخصصة للتعليم، و هي كذلك مجموعة من القيم و القواعد و الغايات المؤطرة و المنظمة لأنشطة التعليم و التدريس، تهدف إلى التربية و التعليم و التدريب المهني و التنشئة الاجتماعية و نقل المعرفة، و تتمثل في المستوى الأول: رياض الأطفال- المدارس الابتدائية و المتوسطة، و في المستوى الثاني: الثانوية- الجامعة – مراكز التكوين و الوزارة، أما بمعناها الواسع، هي كل المنشآت و الوحدات التي يتم فيها التمدرس، التعليم، التدريب و التأهيل، و بهذا يمكن إدراج المدارس العسكرية، السجون، الدينية، الكشافة و الرياضية، و كل التنظيمات غاياتها تأهيل و تنشئة الأفراد وفق الأعراف و فلسفة تربوية و قوانين، إذن هي ليست مكاناً فقط لتلقين المعلومات و العادات من أجل المستقبل، و إنما هي صورة مصغرة للحياة الاجتماعية يتلقى فيها الفرد قيم و خبرات .

ثانياً: وظائف المؤسسات التعليمية والتربوية:

- تنشئة النشء على القيم وعادات وأعراف مجتمعه أي نقل الثقافة.
- تأهيل الأجيال للقيام بالوظائف الاجتماعية.
- تدريب الأفراد وإكسابهم معارف ومهارات معينة
- الاعتراف بالكفاءة والمعرفة وتتويجها بالشهادات.
- إعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

ثالثاً: الأدوار الاجتماعية الثلاثة للمدرسة:

يرى الباحثون في علوم التربية، أن المدرسة تؤدي ثلاثة وظائف أساسية:

مدرسة التربية: تساهم المدرسة كنظام اجتماعي حديث في تعليم الإنسان التفكير واستخدام العقل من أجل بلوغ المعرفة والحقيقة، ولن يتم ذلك إلا من خلال دفع "الأنا/الذات" إلى استكشاف الآخر والعالم.

مدرسة التنشئة الاجتماعية: تمكن من نقل القيم والمبادئ والقوانين المتوارثة والمشاركة وتساهم في التخفيف من حدة التناقضات والصراعات وتساهم في الوعي بالآنا والآخر والمجتمع.

مدرسة المنفعة: تعتمد في هذا المستوى مقارنة براغماتية، حيث تمكن من الحصول على شواهد وتكوينات في نهاية التعليم، هذه الأخيرة هي بمثابة تصريح بالكفاءة والتأهيل لولوج العمل، وبذلك فهي تقدم منفعة مزدوجة للأفراد والمجتمع على حد سواء.

رابعاً: تصنيف المؤسسات التربوية والتعليمية:

وفق التصور السوسيولوجي فإن المؤسسة هي منظمة رسمية بالمفهوم الفيري للبيروقراطية، لديها هيكل تنظيمي يحدد المهام والأدوار وعليه هناك عدة معايير لتصنيف مؤسسة التعليمية، معيار الفئة المستهدفة – معيار طبيعة التعليم – والملكية.

1- معيار طبيعة التعليم و التمدرس:

وينقسم إلى:

أ/ مؤسسات نظامية: هي كل المؤسسات التي تسير وفق النظام التربوي من حيث المناهج وطرق التنظيم وخصائص التعليم والتدريب.

ب/ مؤسسات غير نظامية: و هي كل المؤسسات التي لا تسير وفق قواعد النظام التربوي مثل: الكتاتيب-الزوايا -المدارس القرآنية - المدارس العسكرية – الكشافة- المدارس الوطنية.

2-معيار الملكية: وتنقسم إلى:

أ/ مؤسسات عامة: هي كل المؤسسات التي تسير وفق النظام التربوي من حيث المناهج وطرق التنظيم وخصائص التعليم والتدريب.

ب/ مؤسسات خاصة: وهي كل المؤسسات التي لا تسير وفق قواعد النظام التربوي مثل: الكتاتيب-الزوايا -المدارس القرآنية -المدارس العسكرية – الكشافة-المدارس الوطنية.

3-معيار الفئة المستهدفة والمرحلة العمرية:

أ/ مؤسسات المرحلة ما قبل المدرسية وتضم:

- رياض الأطفال

- الكتاتيب

- الفئة المستهدفة من 3 إلى 6 سنوات

ب/ مؤسسات المرحلة المدرسية و تضم:

وهي المدرسة بمراحلها

- التحضيري

- الابتدائي

- المتوسط

- الثانوي من 6 إلى 16

ج/ مؤسسات التعليم العالي:

- الجامعات

- المدارس الوطنية

- المعاهد الوطنية

غير محددة بسن معين بشرط الحصول على شهادة البكالوريا أو شهادة معادلة لها

د/ مؤسسات التعليم الخاص:

- وتتمثل في مدارس التعليم الخاص لذوي الاحتياجات الخاصة، تضم تلاميذ لم يستطيعوا مواصلة تعليمهم في إحدى مؤسسات التعليم السابقة لخصوصياتهم العقلية أو بدنية.

خامسا: علم الاجتماع التربوي:

1- تعريف علم الاجتماع التربوي:

علم الاجتماع التربوي وهو العلم الذي يدرس أثر العمل التربوي في الحياة الاجتماعية، ويدرس في الوقت نفسه، أثر الحياة الاجتماعية في العمل التربوي، أو هو العلم الاجتماعي الذي يدرس الظاهرة التربوية في مناحيها المتعددة، وفي إطار تفاعلها مع الواقع الاجتماعي، فهو علم قائم بذاته و تم استخلاصه من علم الاجتماع العام ، وهو علم حديث النشأة و فرع من فروع علم يعمل على تطبيق المفاهيم و التصورات و المصطلحات الواردة في علم الاجتماع العام في جانب من أهم ميادين المجتمع و هو الجانب التربوي، ويمكن القول إذن أن علم الاجتماع التربوي عبارة عن مزيج مختلط من علم الاجتماع و التربية، فالعملية التربوية جزء لا يتجزأ من المجتمع و هي العملية التي تنشئ الإنسان القادر على تسيير أمور و قيادة التقدم الاجتماعي و خطط التنمية و تنفيذ مشروعاتها.

يهتم هذا الميدان من علم الاجتماع ببحث الوسائل التربوية التي تؤدي إلى نمو أفضل للشخصية، لأن الأساس في هذا الميدان هو أن التربية عملية تنشئة اجتماعية، لذا فإن علم الاجتماع التربوي يبحث في وسائل تطبيع الأفراد بقيم مجتمعهم، والتربية أساساً ظاهرة اجتماعية، يجب أن تدرس في ضوء تأثيرها

في الظواهر الاجتماعية الأخرى من سياسية واقتصادية وبيئية وتشريعية، وتأثيرها في المتغيرات الاجتماعية الأخرى من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي، من هنا أكد الاجتماعيون ضرورة تحليل الدور الذي يقوم به النظام التربوي في علاقته بأجزاء البناء الاجتماعي الديموغرافية أو الاقتصادية أو السياسية، وعلاقته بمثالية المجتمع أو نظراته العامة والإيديولوجيات التي تفعل فيه.

ويحتل علم الاجتماع التربوي مكانة خاصة في البلدان التي تعيش مرحلة نقلة حضارية، إذ تجرى مجموعة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، تلك التغيرات التي تستوجب إعادة النظر في مسائل التربية والتعليم وما يتعلق بها من ظواهر اجتماعية تواكب تلك التغيرات وتعمق جذورها.

2- مجالات اهتمام علم الاجتماع التربوي:

يهتم علم الاجتماع التربوي بمسائل مثل إيصال القيم الاجتماعية والثقافية والتربوية والدينية والوطنية إلى الطفل عن طريق النظام التعليمي، كما أنه يدرس المحددات الاجتماعية التي تؤثر في تقرير السياسات التربوية وأهداف النظام التعليمي، وكذلك تأثير المؤسسات الاجتماعية في النظام التعليمي، وتأثير العلاقة بين المدرسة والأسرة، في التحصيل المدرسي للتلاميذ، ودور النظام التعليمي في الحراك الاجتماعي، وأثر الأنماط الثقافية السائدة على النظام المدرسي، والتعلم عن طريق جماعات الأقران، والعلاقات بين أفراد تلك الجماعات، ودور التربية في إعداد الناشئة لسوق العمل، والتحليل الاجتماعي لبنية النظام المدرسي والعلاقات السائدة فيه، ودور النظام المدرسي بصفته أداة للسيطرة الاجتماعية والضبط، وإعادة إنتاج العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة، وتحديد الطبقات الاجتماعية المستفيدة من النظام المدرسي، والتي تطبعه بخصائصها اللغوية والثقافية، وأخيراً دور التربية في عمليات التحديث الاجتماعي¹.

وغني عن البيان أن علم الاجتماع التربوي يهدف من خلال دراسته للحقل التربوي سبر أغوار العلاقة المعقدة بين الفرد والجماعة من جهة وبين الجماعة وباقي الجماعات من جهة أخرى، كما يدرس علاقة المجتمع بالتربية وتأثير التربية فيه، فالدراسة ليست سهلة وميسرة كما قد يبدو للبعض، لأن هناك عقبات تتضح وتظهر – الرواسب أو المخلفات التربوية – قد تمارس ضغوطات من شأنها أن تعرقل عمليات التنمية والتطوير.

كما يعمل علم الاجتماع التربوي من خلال تحليله لميدان التربية والتعليم محاولة تكريس مبدأ " تكافؤ الفرص" حيث يجعل له معنى حقيقياً داخل الشق التربوي وليس مجرد شعار يرفع هنا وهناك وذلك من

¹ علي السيد الشخبي: علم اجتماع التربية المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 67.

أجل الترقى والصعود في سلم الحراك الاجتماعي وفق استعدادات التلاميذ وميولاتهم وقدراتهم وتمثلاتهم وطموحاتهم وليس وفق ما كونه من مكانات موروثية.

فعلم الاجتماع التربوي وباختصار يكرس جهده لفهم العلاقة بين التلميذ والمدرسة والمجتمع.

فهو يهتم بالنظام التربوي ككل متكامل بكل ما يضمه من مؤسسات تربوية واجتماعية أوجدها المجتمع بهدف تعليم أبنائه وتربية النشء في مختلف مراحل العمر السنية وكافة مراحل التعليم، وكذا الاهتمام بمختلف جوانب التلميذ المعرفية والوجدانية والانفعالية وكافة ما يحيط بالمجتمع التعليمي من مشكلات و معيقات.

3-مراحل تطور علم الاجتماع التربوي:

ظهر هذا العلم نتيجة لجملة من التطورات الاجتماعية، منها توقع دور النظام التعليمي في ترسيخ الديمقراطية الاجتماعية والتربوية والحراك الاجتماعي عن طريق التحصيل المدرسي، وإعداد التلاميذ للحصول على فرص عمل، وتعزيز دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية للطفل، و يقصد بالتنشئة الاجتماعية العملية التي عن طريقها يسعى الآباء إلى إحلال عادات و دوافع جديدة محل عادات ودوافع كان الطفل قد كونها بطريقة أولية في المرحلة السابقة، أو بعبارة أخرى هي العملية التي يهدف الآباء من ورائها إلى جعل أبنائهم يكتسبون أساليب سلوكية و دوافع وقيم واتجاهات يرضى عنها المجتمع وتتقبلها الثقافة الفرعية التي ينتمون إليها.

وتمثل أعمال إميل دوركهايم(1858-1917) Émile Durkheim ، وماكس فيبر Max Weber (1864-1920)، وكارل ماركس(Karl Marx (1818-1883) ، المقدمات النظرية لولادة علم الاجتماع التربوي، وقد تجلّى إسهام كل منهم في هذا المجال في كتبه، إذ كتب دوركهايم: «التربية والمجتمع Éducation et sociologie» و «التطور التربوي في فرنسا» «Evolution pédagogique en France» وأسهم كتاب ماكس فيبر «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية وكتاب « L'éthique Protestante et l'esprit du capitalisme » في شرح التطور الاجتماعي الرأسمالي في أوربة الغربية، وعرض كارل ماركس الفكر الاجتماعي التربوي بشرح تأثير البنية التحتية، وأنماط الإنتاج وعلاقات الإنتاج، على البنية الفوقية كالبناى الثقافي والحقوقى للمجتمع والنظام التربوي والمدرسي السائد، كما ركز على أهمية الموازين الطبقيّة في العملية

التربوية، وعلى قيم كل طبقة اجتماعية وتصوراتها، وانتقد تربية الأطفال بأساليب الإكراه في المجتمعات الرأسمالية¹.

ومهد هؤلاء الرواد لتطور علم الاجتماع التربوي، فقد بحث جاكارد P.Jaccard في كتابه «علم الاجتماع التربوي» (1963) أفكار دوركهيم، كما درس كل من جيرار A.Girard وباستيد K.Pastide، أثر الانتماء الاجتماعي في قوة التحصيل المدرسي في بحثهما «حول الطبقة الاجتماعية، وديمقراطية التعليم»، عام 1963، وكتب بول كلارك Paul Clerc حول «الأسرة والتوجيه المدرسي لتلامذة الصف السادس الابتدائي». ولعل أكثر الأعمال إثارة للاهتمام والجدل هي الدراسة التي قام بها كل من بورديو Bourdieu وباسرون J.C.Passeron بعنوان «إعادة الإنتاج: حول نظرية نظام التعليم» «La reproduction: pour une théorie du système d'enseignement» وهي دراسة تكشف عن أن النظام التعليمي السائد في فرنسا يعيد بناء العلاقات الإنتاجية القائمة على تعزيز السيطرة الاقتصادية للطبقات السائدة².

ولعل أبرز الأعمال المهمة التي صدرت في بريطانيا هو ما قام به فريد كلارك، حول «التربية والتغير الاجتماعي» الصادر في لندن عام 1940، محلاً تاريخ التربية في المجتمع البريطاني، وداعياً إلى توظيفها في خدمة الطبقات السائدة، واهتم باسيل برنشتاين Basil Brenstien عام 1975 بمسألة العلاقة بين اللغة والانتماء الطبقي، مبيناً أن لغة النظام المدرسي في بريطانيا كانت وماتزال تعكس فكر الطبقات المتوسطة في المجتمع البريطاني. وقدمت مرغريت آرشر Margaret Archer في كتابها «الأصول الاجتماعية للأنظمة التربوية Social Origins of Educational Systems» الصادر في لندن عام 1967، تحليلاً للقوى الاجتماعية التي أثرت في تطور النظام المدرسي لخدمة مصالحها الاجتماعية والاقتصادية. وبين فرانك مسغروف F. Musgrove في كتابه «المدرسة والنظام الاجتماعي School and Social Order» الصادر في لندن عام 1968، دور المدرسة في تعزيز التفاوت الطبقي بين طلابها، ويؤكد كتاب مايكل دون المعروف باسم «التربية في بريطانيا Education in Britain» الصادر في لندن عام 1979 وفي الفصل المعنون باسم «التربية والفقير»، الحقيقة نفسها مبيناً أن النظام التعليمي في بريطانيا جعل الناس المستفيدين منه قادرين على تحسين ظروف حياتهم المعيشية³.

¹ نفس المرجع، ص 79.

² نفس المرجع، ص 86.

³ نفس المرجع، ص 89.

وقام جون ديوي (1859-1952) J. Dewey بدراسات تربوية واجتماعية وخاصة في كتابيه «المدرسة والمجتمع The School and Society» عام 1899، و«الديمقراطية والتربية» Democracy and Education عام 1916 مبيناً أثر الحياة الاجتماعية التقليدية في العمل التربوي، وترك هذان الكتابان أثراً تربوياً كبيراً في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت مؤلفاته إجمالاً مؤثرة في التربية والمجتمع العالمي بتركيزه على الخبرة والحرية والديمقراطية والتعاون بين التلاميذ وأبناء المجتمع. ويؤكد داتون S.T.Datun في كتابه «الجوانب الاجتماعية للتربية» عام 1900، ضرورة ربط التربية بخبرات الطفل الاجتماعية في المنزل والمجتمع المحلي. وكان لهنري سوزلو H. Suzzlo فضل استعمال تعبير «علم الاجتماع التربوي» في الولايات المتحدة الأمريكية أول مرة عام 1910 في جامعة كولومبية.

وفي المرحلة نفسها صدر أيضاً كتاب وليم هاولي سميث W.H.Smith مدخل إلى علم الاجتماع التربوي»، الذي عرف هذا العلم بأنه «يستخدم نظرية علم الاجتماع وميادينه في دراسة قضايا التربية ونظرياتها وممارستها.

ويطلق البعض على جورج باين G.Payne ، لقب «أبو علم الاجتماع التربوي» فقد أصدر نشرة علم الاجتماع التربوي عام 1928، التي أصبحت فيما بعد النشرة الرسمية للجمعية الوطنية لعلم الاجتماع التربوي التي تأسست عام 1923.

وفي الستينات والسبعينات من القرن العشرين حصلت أزمات اجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب البطالة والجريمة والصراعات العرقية، وصدرت مجموعة من الدراسات المهمة حول ديمقراطية التعليم، لعل أشهرها الدراسة المشتركة لكل من باول وجنتس Bowels- Gentis بعنوان «النظام المدرسي في أمريكا الرأسمالية Schooling in Capitalist America» الصادرة عام 1977، وكذلك دراسة إيفان إيليتش I.Ilych الشهيرة بعنوان «اللامدرسية Deschooling» «لقد حل كل من باول وجنتس الطابع الطبقي للنظام المدرسي في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يعزز فرص أبناء الطبقة الغالبة من الطلاب في النجاح الاقتصادي والمادي، في حين اهتم إيليتش ببيان مساوئ النظام المدرسي وطابعه القهري، ولذلك نعتها بهذه التسمية ودعا إلى التعلم الذاتي والتعلم عن طريق جماعات الأقران التعليمية، وكتب بعد ذلك عدداً من الكتب بالاتجاه نفسه مدعماً أقواله بتطور التقنيات ونظم المعلومات وتغيرها مما يؤدي إلى تغييرات اجتماعية وتربوية سريعة¹.

¹ المرجع السابق، ص 93.

ويحلل باتريك فيتز Patrich Fitz في كتابه «التربية والحراك الاجتماعي في الاتحاد السوفييتي» دور المدرسة السوفييتية في تمكين أبناء الطبقات الفقيرة من المجتمع السوفييتي من تحسين ظروف حياتهم المعيشية.

وأسهمت الدراسات الاجتماعية في دول العالم الثالث في الكشف عن مختلف أشكال القهر الاجتماعي والثقافي الذي تعرضت له مجتمعات تلك الدول في حقبة الهيمنة الاستعمارية، مما أدى إلى تعزيز تخلفها الثقافي والتربوي، ويمكن الإشارة هنا إلى كتاب فرانز فانون «معذبو الأرض» ودراسة ج. كابرال J.kabral السلطة والإيديولوجية. «Power and Ideology»

وقد بينت بعض الدراسات الصادرة في تلك المجتمعات مسؤولية الأنظمة المدرسية في عهود الاستعمار عن الأمية الواسعة التي خلفتها في تلك المجتمعات بعد استقلالها، وخاصة اقتصار تعليمها على نخب معينة كي تخدم في أجهزتها الإدارية، وكشف باولو فرايري Paulo Freiri زيف حملات محو الأمية الرسمية في مجتمعات أمريكا الجنوبية والطابع القهري لمضامين المقررات المعتمدة في تلك الحملات لمحو أمية الفقراء من سكان الأحياء الفقيرة في البرازيل، ودعا إلى «تعليم للكبار» قائم على توعية الدارسين في صفوف محو الأمية لمجتمعاتهم، والتخلص من هامشيتهم الاجتماعية

ويتضمن كتابه «تربية المقهورين» Pedagogy of the Oppressed «وكتاب «التربية من أجل الحرية» Education for Freedom» إشارات واضحة لتمكين الأميين الكبار من التحرر من دونيتهم الاجتماعية والثقافية بحقوقهم الاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، مما يتيح لهم الإسهام في الإنتاج الاقتصادي والثقافي لمجتمعاتهم، والتخلص من هامشيتهم الاجتماعية.¹

سادسا: الاتجاهات النظرية في تحليل المؤسسة التربوية والتعليمية:

إذا كان علم الاجتماع التربوي علم حديث النشأة وفرع من فروع علم الاجتماع العام يعمل على تطبيق المفاهيم والتصورات والمصطلحات الواردة في جانب من أهم ميادين المجتمع وهو الجانب التربوي كما أسلفنا الذكر ويعمل على دراسته دراسة علمية، وتتسم النظريات التربوية بجملة من الأهداف تجعل لها أهمية مرموقة في دراسة الظاهرة التربوية، ولعل من بين أهم هذه الأهداف مايلي:

¹ عبد السميع سيد أحمد: دراسات في علم الاجتماع التربوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص43.

- ✓ دراسة الظواهر التربوية من حيث طبيعتها وما تتسم به من خصائص وسمات، والتي بفضل هذه الأخيرة تجعل منها موضوعاً متميزاً لعلم الاجتماع التربوي.
- ✓ التعرف على الوقائع الثقافية والاجتماعية والشخصية المرتبطة بالظاهرة التربوية في نشأتها وتطورها.
- ✓ فهم طبيعة العلاقات التي تربط الظواهر التربوية بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها من الظواهر الاجتماعية في المجتمع.
- ✓ الكشف عن أبعاد أو الوظائف الاجتماعية، التي تؤديها الظواهر والنظم التربوية بالنسبة للجوانب الاجتماعية والثقافية في المجتمع.
- ✓ تحديد المضمون الأيديولوجي للتربية وآثاره على العمليات التربوية.
- ✓ تحديد القوانين الاجتماعية العامة التي تحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية.
- ✓ تحليل التربية كوسيلة للتقدم الاجتماعي .

-بعدما قدمنا لمحة بسيطة عن تعريف النظرية التربوية وما تتسم به من شروط، وما الأهداف التي ترمي إليها، سوف نحاول في الأسطر القادمة أن نخرج على أهم النظريات الحديثة التي عالجت موضوعات وميادين خاصة بالتربية، ولعل أبرز ما نتعرض عليه من هذه النظريات هي:

1-الاتجاه الإصلاحى والاجتماعى لإميل دوركايم:

يعتبر دوركايم من مؤسسي سوسيولوجيا التربية عند الغرب وهذا من خلال إسهاماته التي تظهر في كتبه: التربية الأخلاقية – التربية و السوسيولوجيا، والإصلاح البيداغوجي في فرنسا ،حيث تتميز سوسيولوجيا دوركايم بطابعها : الإصلاحى، الأخلاقى.¹

كان دوركايم من الأوائل الذين تطرقوا للمؤسسات التربوية فهو يحمل مشروع إصلاحى، هدفها التطبيق الاجتماعى الأولي للطفل أي التطبع بالنفس العادات والمعتقدات والأعراف واكتساب نمط الحياة السائد في مجتمعه حتى يستطيع الاندماج والتفاعل في بيئته الاجتماعية، وهدف التربية حسب دوركايم هو تحقيق الإنسان كما يريد المجتمع أن يكون.²

¹ Durkheim E. (1969), L'évolution pédagogique en France, 2è Ed. PUF, Paris.

² - DURKHEIM (E): Education et sociologie, Editions P.U.F, Paris. 1973, p 56.

انتقد دوركايم كل المفاهيم وأفكار الفلاسفة من قبله حول ماهية التربية:

حيث عند فلاسفة عصر التنوير التربية هي:

عند جون ستيوارت ميل: هي كل الأفعال التي نقوم بها ويقوم بها الآخرون من أجل تقريبنا إلى كمال طبيعتنا بما فيه آثار الطبيعة على الطبع والقدرات.

عند إمانوال كانت: الهدف من كل فعل تربوي هو أن نطور لدى الأفراد الكمال الذي يكون قابلاً لبلوغه في كتابه " نقد العقل الخالص"

وهنا يطرح دوركايم السؤال الجوهرى " ما المقصود بالكمال"

- عند أفلاطون: الكمال يكون في المدينة الفاضلة.
- عند الرومان: الكمال يكون في القوة الجسدية للمشاركة في الحروب.
- في العهد الوسيط: بلوغ الكمال يكون بواسطة التربية الدينية.
- بداية عصر التنوير: الكمال يكون عن طريق تربية الفرد على التفكير العقلي.
- في القرنين 19-20: تربية الفرد على اكتساب التفكير العلمي.
- في القرن 21: تربية الفرد على التكنولوجيا.

وعليه انتقد دوركايم التعاريف ذات النزعة المثالية للتربية وحاول تحديد التربية كفعل اجتماعي وكظاهرة تمارس في مجتمع محدد وفي لحظة زمنية معطاة.

ويقول دوركايم أن لكل زمان ولكل مرحلة وحضارة نمطها في العيش وقيمها ومعاييرها ونظرتها الخاصة للكمال، وحتى بين الأجيال في نفس الثقافة والحضارة ولهذا يقول دوركايم " من المستحيل أن نربي أبنائنا على الطريقة التي نريد".¹

ويلخص دوركايم تعريف التربية:

" هي العملية التي تمارسها الأجيال الناضجة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية، وتهدف تلك العمليات إلى إثارة وتطوير عدد من الحالات الجسدية والفكرية والأخلاقية لدى الطفل يتطلبها منه المجتمع والوسط الخاص المراد له".²

¹ مرجع سابق، ص 48.

² نفس مرجع ، ص 57.

2-الاتجاه المادي الجدلي وإسقاطات ماركس في المجال التربوي:

يرى ماركس في كتابه ” الصراع الطبقي“ أن للتعليم وظيفتين:

أ/الوظيفة الأولى: في حالة هيمنة الطبقة الرأسمالية.

تصبح المؤسسة التربوية أداة إيديولوجية في يد الدولة البورجوازية لتحقيق أهدافها، وإعادة إنتاج النظام الطبقي من خلال:¹

- نشر أفكارها وثقافتها وتكريس معتقداتها.
- احتكارها للاقتصاد ووسائل الإنتاج وتعطي الشرعية على هذه الوضع.
- التحكم في معايير النجاح وإقصاء أبناء الطبقة الكادحة.

ب/الوظيفة الثانية: في حالة هيمنة الطبقة البروليتاريا يتم:

- تحرير أبناء الطبقة العاملة.
- إكسابهم إيديولوجيا شيوعية من خلال ضمان تعليم مجاني وموحد لجميع الناس.

3- نظرية إعادة الإنتاج لبيار بورديو:

إذا كانت التربية حسب دوركايم تنشئة ممنهجة للجيل الناشئ إن بورديو وزميله جون جاك باسرون في كتابه ” إعادة الإنتاج سنة 1970“ وكتاب ” الورثة سنة 1964“ يرى أن المدرسة لا تنقل قيم مشتركة بقدر ما تحافظ على التفاوت الطبقي من خلال نقل ثقافة الطبقة المهيمنة عبر محتويات البرامج الدراسية وأساليب التدريس واللغة، فهي تمكن أبناء الطبقة المهيمنة من استثمار رأس مالهم الثقافي في المدرسة وذلك الرأس المال الذي لا يتوفر عليه أبناء الطبقة الفقيرة.²

-المدرسة مكان لإعادة الإنتاج عند بيار بورديو: تركز نظرية إعادة الإنتاج لبيار بورديو على ثلاث مفاهيم أساسية:

أ/ الرأس المال الثقافي: ويتمثل في مجموع المعارف الثقافية التي يكتسبها الفرد في بيئته وأسرته.
ب/ الهابيتوس **Habitus**: الاستعدادات المكتسبة التي تحدد سلوك الفرد.

ج/ العنف الرمزي: عنف لطيف وغير ملموس لضحاياه يتم عن طريق وسائل رمزية كاللغة، طرق تلقين المعارف والتواصل.

¹ BOURDIEU (P), Jean-Claude PASSERON : La reproduction : Éléments pour une théorie du système d'enseignement, Editions de Minuit, Paris, 1970, p 84.

² ibid, p86

حسب بيار بورديو في نظريته إعادة الإنتاج:

- تشكل المدرسة ساحة للصراع الطبقي في صورته الرمزية.
 - العوامل الاجتماعية ولا فطرية هي التي تحدد مكانة الفرد في المدرسة وتحدد تحصيلهم الدراسي.
 - تقوم المدرسة بإعداد الأطفال على منوال الفوارق الاجتماعية وليس على حسب الفوارق الفطرية.
 - تعطي شرعية الهيمنة لأبناء الطبقة العليا وتضمن لهم هذه الشرعية التواجد في المواقع والمناصب العليا.
- وكنتيجة لهذه العوامل يتم ترسيخ الوضع الطبقي وتقويته.

4- أفكار Raymon Boudon في كتابه "التفاوت في الحظوظ" سنة 1972:

فمن خلال كتابه المشهور "اللامساواة في الحظوظ" حاول إيجاد العلاقة بين التربية و الحراك الاجتماعي la mobilité sociale، رفض ذلك التصور الحتمي القائم على الاعتقاد بوجود قابليات واستعدادات اجتماعية التي تم دمجها في مرحلة الطفولة وهذا ما سماه بورديو الهابيتوس.

ينطلق ريمون بودون من مرجعية الفعل الاجتماعي العقلاني لتفسير التفاوتات الاجتماعية في المسارات الدراسية.¹

- يتم تقييم العائد والتكاليف التي تترتب عن متابعة الدراسة في مجال معين.
 - انطلاقا ما تتوفر عليه من معلومات.
 - نتيجة لاستراتيجيات تتبناها الأسر.
- و عليه يرى بودون Boudon أن ظاهرة إعادة الإنتاج كما درسها بورديو و باسرون ما هي إلا التقاء بين خيارات عقلانية و في نفس الوقت للوضع الاجتماعي للفاعلين من جهة أخرى .

¹. BOUDOUN (R): L'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles, Editions A. Colin, Paris.1973 ,p 63.

5- البعد المؤسسي للتربية: إيفان إيليتش (Ivan Illich) :

يطرح العالم YVAN ILLICH في كتابه " مجتمع بدون مدرسة سنة 1972 " une societe sans école " عدة إشكاليات و تساؤلات:

- إلى أي حد يمكن مأسسة التربية أي جعل التربية ممارسة تتم داخل المؤسسات التعليمية؟

- هل التربية حكر على المدرسة؟ أليس هناك وسيلة للتربية غير المدرسة؟

- هل تكفي المدرسة لممارسة التربية؟

- ولماذا المدرسة وحدها تتمتع بالمصادقية كمؤسسة للتربية بامتياز؟

يرى في كتابه مجتمع بدون مدرسة أنها تقوم على إيديولوجية مفادها التعلم يساوي اكتساب معارف مدرسية وهو معيار للتموقع في السلم الاجتماعي، ويرى أن تلك المدرسة لا تنفع في أي شيء، وأن الإنسان لا يحتاج بالضرورة إلى عدد محدد من السنوات التمدرس لكي يندمج في الحياة وهذا الأمر يختلف من إنسان إلى آخر حسب ما أوتي كل فرد من قدرات ومواهب، وأن شرط مستوى تعليمي محدد للولوج لمختلف المهن يكرس الإقصاء والتمييز.

و من أهم أفكاره YVAN ILLICH في كتابه " مجتمع بدون مدرسة سنة 1972 " une société sans école

- إن تقديس الدبلوم أمر لا فائدة منه كم من شخص يملك الشهادة لكن لا يعني أنه عارف.
- كما أن التربية ليست حكرًا على المدرسة فبإمكان المجتمع إيجاد سبل أخرى.
- كما يرى أن التربية التقليدية تعمل على عزل المتعلم عن العالم.
- المدرسة هي مكان لتجميع البشر لا يجمع بينهم شيء سوى العمر حول مدرسين.
- وتفرض عليهم الحضور الإجباري وانتقد ما يسمى بالعمر المدرسي فهو مفهوم ظهر مع نمو البرجوازية وهو غير مطلق ولا يصلح لجميع المجتمعات.
- ويطرح سؤال هل في المؤسسة التعليمية وحدها نتعلم ان نعيش ونفكر ونلعب ونتعلم.
- كما يرى أن الزمن المدرسي الذي يفرض على التلاميذ الحضور يضفي على المدرسة طابعا تعبديا كالمعبد حيث المدرس في نفس الوقت هو الراعي والمعالج والقديس.

5-المقاربة التفاعلية الرمزية: Symbolic Interactionalism

تعتبر التفاعلية الرمزية واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية، في تحليل الأنساق الاجتماعية، وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (MICRO) ، منطلقةً منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي(1). فأفعال الأفراد تصبح ثابتةً لتشكل بنية من الأدوار؛ ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز، وهنا يصبح التركيز إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي¹.

ومع أنها ترى البنى الاجتماعية ضمناً، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز Parsons ، إلا أنها لا تُشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكل عبر اللغة، والمعاني، والصور الذهنية، استناداً إلى حقيقة مهمة، هي أن على الفرد أن يستوعب أدوار الآخرين.

إن أصحاب النظرية التفاعلية يبدؤون بدراستهم للنظام التعليمي من الفصل الدراسي (مكان حدوث الفعل الاجتماعي)، فالعلاقة في الفصل الدراسي والتلاميذ والمعلم، هي علاقة حاسمة، لأنه يمكن التفاوض حول الحقيقة داخل الصف، إذ يدرك التلاميذ حقيقة كونهم ماهرين أو أغبياء أو كسالى. وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسون بعضهم مع بعض، حيث يحققون في النهاية نجاحاً أو فشلاً تعليمياً.

أشهر ممثلي النظرية التفاعلية الرمزية:

جورج هربرت ميد: (1863-1931) George H. Mead

استطاع جورج ميد في محاضراته التي كان يلقيها في جامعة شيكاغو، على طول الفترة من (1894-1931) أن يبلور على نحو متقن، الأفكار الأساسية لهذه النظرية، وقد جمع له تلاميذه كتاباً بعد وفاته، يحتوي على معظم أفكاره التي كانوا يدونها في محاضراته، تحت عنوان: (Mind, Self and Society, 1934).

¹ حسن البلاوي، التربية وبنية التفاوت الاجتماعي الطبقي : دراسة في فكر بيير بورديو، ص 125.

ويبدأ ميد بتحليل عملية الاتصال، وتصنيفها إلى صنفين: الاتصال الرمزي، والاتصال غير الرمزي. فبالنسبة للاتصال الرمزي فإنه يؤكد بوضوح على استخدام الأفكار والمفاهيم، وبذلك تكون اللغة ذات أهمية بالنسبة لعملية الاتصال بين الناس في المواقف المختلفة، وعليه فإن النظام الاجتماعي هو نتاج الأفعال التي يصنعها أفراد المجتمع، ويشير ذلك إلى أن المعنى ليس مفروضا عليهم، وإنما هو موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين الأفراد.

مصطلحات النظرية:

✓ **التفاعل: Interaction:** وهو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد، أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة.

✓ **المرونة: Flexibility:** ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفة في وقت آخر، وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة.

✓ **الرموز: Symbols:** وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة، يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان. وتشمل عند جورج ميد اللغة، وعند بلومر المعاني، وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية.

✓ **الوعي الذاتي: Self- Consciousness:** وهو مقدرة الإنسان على تمثيل الدور، فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثلها، على حد تعبير جوفمان.¹

6- النظرية المعرفية في التربية:

يعرف جورج غورفيتش علم اجتماع المعرفة على أنه: دراسة الترابطات التي يمكن قيامها بين الأنواع المختلفة للمعرفة من جهة، والأطر الاجتماعية من جهة ثانية، فعلم اجتماع المعرفة يركز على الترابطات الوظيفية القائمة بين أنواع وأشكال المعرفة، بحد ذاتها، ثم بينها وبين الأطر الاجتماعية، مما يكشف عن أن عصب المعرفة يكمن في وظائفها.²

¹ مرجع سابق، ص 134.

² جورج غورفيتش: **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981 ص 23.

أما علم اجتماع المعرفة التربوي فيعرفه يونج M. Young على أنه: المبادئ التي تقف خلف كيفية توزيع المعرفة التربوية وتنظيمها، وكيفية انتقائها وإعطائها قيمتها، ومعرفة ثقافة الحس العام، وكيف يمكن ربطها بالمعرفة المقدمة في المدارس، واعتبارها المدخل الحقيقي للتعليم.

وبناء على ذلك يهتم علم اجتماع التربية المعرفي بالبحث في الثقافات الفرعية داخل المجتمع، وعملية التنشئة الاجتماعية، وأثر ذلك على قيم الطفل واتجاهاته، ومستوى تحصيله الأكاديمي واللغوي. ويهتم أيضا بالبحث في طبيعة العلاقة المتبادلة بين التعليم والتغير الاجتماعي، وتحليل المدرسة كمؤسسة تربوية، معتمدا في ذلك على استخدام الأسلوب السوسيولوجي الدقيق Micro Sociological Approach .

مصطلحات النظرية المعرفية:

- ✓ نظم المعرفة: ويعنى بها أن المعرفة اجتماعية؛ لأن إنتاج المعرفة ليس عملا فرديا، وإنما هو عمل جماعي.
- ✓ توزيع المعرفة: تأخذ المعرفة أشكالا هرمية تبعا لتدرجها في القيمة؛ لأن تميز بعض المعارف عن بعضها الآخر شرط ضروري لبعض الجماعات، وذلك لكي يكتسب المنتفعون منهم أهمية وشرعية لمكانتهم الاجتماعية العالية.
- ✓ الموضوعية والنسبية: إن المعيار الوحيد للمعرفة هو تحسين الأوضاع الإنسانية، فالمعرفة القائمة على السياقات الاجتماعية جاءت لحل مشكلة الإنسان.
- ✓ رأس المال الثقافي: Cultural Capital يعرفه بورديو على أنه: الدور الذي تلعبه الثقافة المسيطرة أو السائدة في مجتمع ما، في إعادة إنتاج أو ترسيخ بنية التفاوت الطبقي السائد في ذلك المجتمع¹. ومن أشهر ممثلي النظرية المعرفية:

مايكل يونج: M. Young

الذي أعلن مولد علم اجتماع المعرفة عام 1971، في كتابه: (علم اجتماع التربية الجديد) وهو يرى بأن علم اجتماع التربية التقليدي كله باء بالفشل، لأن الباحثين أخذوا المشكلات مأخذ التسليم على أنها مشكلات التربية الجديرة بالدراسة، من غير أن يحاولوا فحص قيمة تلك المشكلات نفسها، لتبين أهميتها بالنسبة للتربية. فالمدخل الحقيقي للإصلاح هو خلق المواقف المشكلة، وأن تضع المعرفة التربوية نفسها موضع الشك والتساؤل، فيتغير الجدل حول قضايا التربية، وتتولد نظريات خصبة، وبحوث جديدة في مجال البرامج الدراسية.

¹ المرجع السابق، ص 36.

برونر: J. Bruner

الذي تزعم حركة العودة إلى الأساسيات Back – to Basic – Movement. إثر محاولات إصلاح التعليم، بعد أزمة سبوتنيك عام 1957م. وكان كتابه الشهير (العملية التربوية) The Process of Education بمثابة إنجيل إصلاح المنهج في التعليم الابتدائي والثانوي.

ولب نظرية برونر هو الدعوة إلى تجديد البنية الأساسية للتعليم، مع المحافظة على الحواجز بين كل مادة وأخرى. وهو يعتمد على مسلمة مؤداها: أن كل الأنشطة العقلية في أي موقع من ميادين المعرفة هي واحدة، مهما تضخمت المعرفة أو تقلصت.

7- مقارنة النوع الاجتماعي للتربية:

اتخذ النوع الاجتماعي le genre sociale مدخلا لدراسة التفاوتات الاجتماعية في مجال التربية، خاصة مع العلم أن التوزيع الاجتماعي للأدوار يختلف باختلاف الجنس (ذكر-أنثى)، وقد سبق لبورديو أن كشف سريان ظاهرة الهيمنة الذكورية التي تجعل الأنثى دائما في موقع المهيمن عليه، في سياقات اجتماعية عدة بما فيها السياق التربوي، ومن خلال استجابات في إحدى دراساته وجد النساء اللواتي يمارسن القيادة يعشن في حالة توتر، ونظرية التابع والمتبوع رفضها كل من Christian Baudelot et Roger Establet حيث سلطا الضوء في كتابهما "1992 Allez les filles!" على النجاح الدراسي الذي تحققه الفتيات، والذي مرده إلى تعودهن بحكم التنشئة على الانضباط والتواصل الاجتماعي، كنتاج لعملية التنشئة التي تلعب فيها المرأة أدوار الأمومة والزوجة والقوة... وهذا التهيئ يكون له أثر إيجابي على تدرسهن، بحيث يحققن مسارات دراسية ناجحة في الغالب، في مقابل الذكور الذين يتعودون على التمرد وعدم الامتثال للمعايير مما يؤثر سلبا على فاعلية التربية في شخصيتهم، لكن ثمة من يتساءل عن السبب الذي يجعل العنصر الأنثوي يتوجه في نهاية مساره الدراسي إلى مهن ذات بعد إنساني مثل الطب والتعليم في حين يتوجه الذكور إلى مهن تقنية مثل الهندسة.¹

يعتقد Jean-Louis Auduc في كتابه "sauvons les garçons"² أن هذا الأمر يعود إلى التوجه المدرسي الذي كرس التمييز حسب الجنس، ويستخلص مسلمة خاطئة مفادها أن الذكور أقل ذكاء في مجالات اللغة والفنون، في حين أنهم أكثر ذكاء في مجالات العلوم الدقيقة والرياضيات، إن مسلمة الهيمنة الذكورية التي لازمت موضوع النوع الاجتماعي تجد تعبيرها، حسب Eric Macé في

¹ Christian Baudelot, Roger Establet, *L'élitisme républicain. L'école française à l'épreuve des comparaisons internationales*, Seuil, coll. « La république des idées », 2009, 117 p.

² Jean-Louis Auduc, « Sauvons les garçons ! », Paris, Descartes et Cie, novembre 2009. 78.

نموذج للتقسيم الاجتماعي، تم تجاوزه في العصر الحالي (عصر ما بعد الحداثة) ، هو نموذج المجتمعات الأبيسية Les sociétés patriarcales في كتابه "L'Après patriarcat" يعتبر أن النوع الاجتماعي لم يعد مفهوما ثابتا يتأسس على الثنائية التقليدية، ذكر أنثى، بقدر ما أصبح نسبيا يرتبط باختيارات الفرد، لذلك فإن التوقعات الاجتماعية، في كتاب "القوانين وأشكال التنظيم" ، لا ينبغي أن تتأسس على تلك الثنائية التقليدية التي تخلق واقعا تكون فيه الذكورة حزا والأنوثة عائقا، بل ينبغي التعامل مع الجنسين باعتبارهما فردا مستقلا، لذلك فدور التربية هنا هو العمل على القضاء على التمثلات التقليدية حول الجنسين ، وترسيخ قيم المساواة بينهما، بغض النظر عن كل الفروق والاختلافات بينهما، ذلك أنه إذا كان تصور الهيمنة الذكورية السائد يجعل من الذكر جلادا ومن الأنثى ضحية ، فإن ثمة من يرى أن الذكور هم أيضا، ضحايا الصورة النمطية للجنس: الأنوثة (حشمة، لطافة، خضوع، رهافة، الإحساس...) الذكورة(الخشونة، الشجاعة، الصرامة....) فمثلا يشير الباحث Stéphane Clerget في كتابه " ! Nos garçons en danger " إلى أن الأطفال الذكور هم الأكبر عرضة للمخاطر الاجتماعية الناجمة عن فشل التربية، مثل الرسوب الدراسي والانحراف والجريمة بشتى أنواعها، كما أنهم أقل حضورا في عدد من المهن ذات الخطوة الاجتماعية، مثل الطب والقضاء والصحافة والهندسة المعمارية، ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها حسب Clerget هيمنة حضور العنصر الأنثوي في حياة الطفل الذكر، بحيث أنه في فرنسا مثلا 15 في المئة فقط من المدرسين في التعليم الأولي والابتدائي ذكورا، وهذا ما يجعل صعوبة التعلم أو ما يسمى "عسر القراءة" dyslexie فيه سيرورات عاطفية وميكانيزمات نفسية، يعتبر فيها المدرس بمثابة المثال والقوة، لذلك فمشاكل التعليم هاته ناجمة عن فشل عملية التماهي "identification" مع شخصية المدرس، خصوصا وأن حضور المرأة (الأم) يكون قويا في المراحل المبكرة من حياة الطفل خارج المدرسة، وفي الأسرة بالتحديد، وتكون نتيجة ذلك أن الطفل يتخذ موقفا لا شعوريا مفاده أن التربية شأن أنثوي، والمعرفة التي تسوق فيها معرفة أنثوية. لذلك يرى CLERGET أنه لكي يكون هناك توازن في التربية لابد من إعادة الاعتبار لدور الرجل، سواء كان في الأسرة أو في المدرسة، مما سيسمح باكتمال الهوية الذكورية للأبناء الذكور من خلال الروابط التي ستنشأ بين الطفل والمربي وسيساهم في الحد من آثار الصورة النمطية للجنس، والتي يعتبر الأطفال الذكور أيضا ضحايا لها، من خلال الألعاب التي تقدم لهم (الأسلحة مثلا) ، والتي تساهم في خلق و تأكيد بعض التمثلات الاجتماعية حول الرجولة، باعتبارها تقتزن بالخشونة والعوانية والعنف وعدم الامتثال للقواعد والمعايير الاجتماعية خصوصا وأنها تميل إلى ما

هو سلبي أكثر مما هو ايجابي .في هذا السياق يصب كتاب لـ Chantal Delsol : " Qu'est-
ce que l'homme ? " ¹

ومن خلال عرض لمختلف المقاربات تتضح أهمية الفكر التربوي في دراسة الأنشطة التي تقام داخل المدرسة ويرصد التفاعلات الاجتماعية والنفسية التي تتم داخل النسق التربوي في المؤسسة التعليمية، كما يعكس تأثيرات المجتمع على المدرسة والتلاميذ والمدرسين ورجال الإدارة التربوية، ويعمل على تحليل أشكال الأنشطة التربوية، كأنشطة المدرسين والتلاميذ والإداريين داخل المؤسسة المدرسية ويقوم بوصف طبيعة العلاقات والأنشطة التي تتم بينهم .

¹ Stéphane Clerget, Nos **garçons en danger** ! : Editions Flammarion, 18 févr. 2015, p 45.

المحور السادس:

المؤسسة السياسية

المؤسسة السياسية

أولاً: تعريف المؤسسة السياسية:

تعتبر المؤسسات السياسية الأداة الرسمية التي من خلالها يتم طرح و بلورة و تنفيذ القرارات السياسية بشكل قانوني، ولم تحظى بنفس الاهتمام الذي حظيت به المؤسسات الأخرى الاجتماعية كالمؤسسة الدينية والمؤسسة الاقتصادية والتربوية وغيرها، سواء في علم اجتماع المنظمات أو علم الاجتماع السياسي، ولم تشكل المؤسسات المؤسسة للنظم السياسية كالحكومة والبرلمان والرئاسة والأحزاب السياسية والمكونة للحياة السياسية اهتمام بشكل مباشر في التراث التنظيري السوسيولوجي، بالرغم من أنها أكثر المؤسسات الاجتماعية تأثيراً في الحياة الاجتماعية.

1. الإرهاصات التي ساهمت في ظهور المؤسسة السياسية:

ومع ظهور اتجاه التحليل المؤسسي في ثمانينات القرن الماضي أثر هذا التوجه النظري الجديد على إثراء التنظير في مجال المؤسسة السياسية، والذي أصبح يستحوذ على اهتمام مواضيع علم الاجتماع الأوروبي والأمريكي، حيث علم السياسة الجديد يهتم بدراسة اصول الحكم وتاريخ النظرية السياسية ونظم الحكم السائدة كالملكي والديمقراطي.....الخ.

و تعتبر المؤسسة السياسية من اهم مؤسسات المجتمع ، والتي نمت وتطورت من فلسفة سياسية إلي نظم و تنظيمات لتنظيم المجتمع، اذا كان المجتمع القديم في اليونان القديمة يقصد به الحكومة او الجمهورية كما تصورهما افلاطون او المدينة المقدسة كما تخيلها القديس الفيلسوف أغسطين او المدينة الفاضلة عند فيلسوف العرب الفرابي، كل هذه التصورات كانت تعبر عن فكرة الحكومة التي اقتنع الناس على ممر العصور، بانها ضرورة لا بد منها لتنظيم الشأن العام وايضا لتسهيل حياة الناس على اساس من العدل وسيادة القانون و تنظيم ممارسة وشرعنه ومأسسة الحياة العامة.

وكغيرها من الافكار الهامة والقضايا الاساسية التي عني بها التفكير البشري منذ سيادة التفكير الفلسفي في اليونان القديمة على يد الرواد والاباء الفلاسفة الذين كان لهم الفضل في ارساء المبادئ الاولى للفلسفة السياسية والتفكير الفلسفي، و الذي سيبني دعائم النظرية السياسية والفكر السياسي، وتأسيس علم السياسة أو علم الدولة الذي جاء بعد مخاض عسير وصراع محتدم ومتواصل بين مختلف الفلسفات السياسية والقانونية والفقه السياسي، والتي بدأت تتضح ملامحها علي يدى فلاسفة العصور

الوسطى وصولاً إلى أفكار عصر التنوير والنهضة الأوروبية. إذن كانت هناك علاقة بين السياسة والحكومة أو الدولة والمجتمع.¹

2. تعريف علم السياسة:

سيتأسس علم السياسة بناء على هذه العلاقة التي انتجتها ظروف الاجتماع السياسي الذي انتقل من الفوضى والتوحش والحالة الطبيعية كما يدعي الفيلسوف هوبز وبعده روسو عن بداية عهد سياسي جديد مبني على فكرة الاجتماع والعقد الاجتماعي الذي سيأخذ بأوروبا إلى أوضاع جديدة وتمهيدا لظهور الدول الجديدة، إن علم السياسة الجديد يهتم بدراسة أصول الحكم وتاريخ النظرية السياسية ونظم الحكم

2. تعريف علم الاجتماع السياسي:

علم الاجتماع السياسي هو أحد الفروع الرئيسية لعلم الاجتماع وأكثرها تطوراً، فهو مصطلح حديث نسبياً، ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية ليسد الفراغ الموجود بين علم السياسة وعلم الاجتماع، من خلال تقديم المعرفة العلمية للظواهر السياسية، فأصبح من مجالات البحث الهامة في علم الاجتماع.

وهو علم يدرس العلاقة بين السياسة والواقع الاجتماعي والذي يعتبر الحاوي للأحداث السياسية، وتأثير الأحداث السياسية على البنية الاجتماعية والعكس، فمثلاً عند دراسة ظاهرة سياسية كالحرب أو الثورة يدرس الباحث في علم الاجتماع السياسي تأثير ذلك على المجتمع، كما يدرس أيضاً تأثير البنية الاجتماعية على السياسة، فمثلاً ظاهرة البطالة والتفكك الاجتماعي واختلال القيم وغياب العدالة الاجتماعية كظاهرة اجتماعية وبين حدوث الثورة أو الحرب كظاهرة سياسية.

ثانياً: أنواع المؤسسات السياسية:

إن من أهم المؤسسات السياسية في الدولة الحديثة هي:

1. **المؤسسة الحكومية:** تشير المؤسسات الحكومية إلى مختلف المنظمات والكيانات المسؤولة عن وضع وتنفيذ السياسات والقرارات ضمن نطاق سلطة معينة، هذه السلطة مسؤولة عن تنفيذ القوانين التي تصدرها السلطة التشريعية ويرأسها عادة رئيس وزراء وهو رئيس الحكومة، وهي إحدى أهم مؤسسات النظام السياسي فهي أدوات لممارسة السلطة، وتشمل كافة أجهزة السلطة التنفيذية والتي تتألف من رئيس الدولة أياً كان الاسم الذي يطلق عليه، على رأس هذه السلطة، ثم الوزراء ونوابهم وجميع موظفي الأجهزة الإدارية، المركزية منها واللامركزية.

¹ محمد علي (الدكتور). دراسات في علم الاجتماع السياسي، دار الجامعات المصرية، القاهرة، 1978، ص 74.

2. **المؤسسة التشريعية:** هذه السلطة مسؤولة عن وضع القوانين وإصدارها، يتشكل البرلمان الجزائري من غرفتين، المجلس الشعبي الوطني، وعدد أعضائه 460، ويتم انتخابهم كل خمس سنوات، ومجلس الأمة (الغرفة الثانية للسيناتورس) وعدد أعضائه 144 عضوا. يعين رئيس الجمهورية ثلثهم أي 48 عضوا (مدة 6 أعوام) بينما ينتخب الثلثين الآخرين من المجالس الشعبية الولائية بحصة عضوين عن كل ولاية من الولايات 58 للجزائر.¹

3. **الأحزاب السياسية:** هي مجموعة من الأشخاص الذين يتشاركون أفكارًا ومعتقدات سياسية مشتركة، ويعملون معًا للتأثير على السياسة والفوز بالانتخابات، ويمكن تعريف الحزب السياسي أيضا على أنه تجمع مواطنين يتقاسمون نفس الأفكار ويجتمعون لغرض وضع مشروع سياسي مشترك حيز التنفيذ للوصول بوسائل ديمقراطية وسلمية إلى ممارسة السلطات والمسؤوليات في قيادة الشؤون العمومية. ويتمثل دور هذه المؤسسات في السياسة في توفير إطار للحل السلمي والمنظم للنزاعات، وحماية الحقوق والحريات الفردية، وتعزيز الصالح العام، وهم مسؤولون عن وضع وتنفيذ السياسات التي تؤثر على حياة المواطنين، وعن ضمان مساءلة الحكومة أمام الشعب.

4. **المؤسسة الدستورية:** يمكننا اعتبار وجود الدستور في حد ذاته من أهم المؤسسات لبناء واستقرار الدول لأنه التعبير والتجسيد الحقيقي لإرادة الشعوب، وهو من أهم أسس ومكونات الدول الحديثة.

وهو أيضا الوثيقة التي يجب الرجوع إليها لمعرفة الإجابة عن السؤال: «من يحكم وكيف يحكم؟» والدستور (Constitution) هو القانون الأعلى الذي يحدد القواعد الأساسية لشكل الدولة، (بسيطة أم مركبة)، ونظام الحكم (ملكي أم جمهوري) وشكل الحكومة (رئاسية أم برلمانية) وينظم السلطات العامة فيها من حيث التكوين والاختصاص والعلاقات بين السلطات وحدود كل سلطة والواجبات والحقوق الأساسية للأفراد والجماعات ويضع الضمانات لها تجاه السلطة.

5. **السلطة القضائية:** انطلاقا من مبدأ الفصل بين السلطات، ينص الدستور على نظام قضائي مستقل يحمي المجتمع والحريات، ويقوم على مبادئ العدل والمساواة، كما يسمح بالطعون ضد قرارات السلطات العمومية، والقاضي محمي من كل أشكال الضغوطات ولا يخضع إلا للقانون، وهو مسؤول أمام المجلس الأعلى للقضاء ويتميز التنظيم القضائي الجزائري بثلاث خاصيات رئيسية:

¹ صالح بلحاج: أبحاث وأراء حول مسألة التحول الديمقراطي، ط1، الجزائر، مخبر دراسات وتحليل السياسات العامة في الجزائر، 2012، ص 103.

- ازدواجية القضاء: القضاء العادي والقضاء الإداري

- بساطة الإجراءات

- قرب القضاء من المتقاضين.

وأهم هياكل هذا النظام هي:

- **المحكمة العليا:** وهي قاضي القانون، تعاقب كل مخالفة للقانون كما أنها تفصل في الطعون، خاصة الطعون بالنقض والطعون للمراجعة.

مجلس الدولة: وهو الجهاز الذي يسهر تحت وصاية السلطة القضائية، على ضبط نشاط القضاء وتوحيد فقه القضاء الإداري على مستوى القطر-الوطني وعلى احترام القانون.

- **المجلس الأعلى للقضاء:** يترأسه رئيس الجمهورية، ويحرس على احترام أحكام النظام الأساسي لهيئة القضاء ومراقبة انضباط القضاة.

- **الجماعات الإقليمية:** يتشكل التراب الوطني من مجموعات إقليمية هي الولايات (58) ولاية و من مظاهر الجماعات الإقليمية على مستوى الولاية تتمثل في المجلس الشعبي الولائي و الوالي، والبلديات (1541) بلدية و من مظاهر الجماعات الإقليمية على مستوى البلدية المجلس الشعبي البلدي و رئيس البلدية، كما توجد الدوائر التي تمثل مستوى تنسيقيا وسطا بين البلديات والولايات، ويصل عددها إلى (553) دائرة.

ثالثا: وظائف المؤسسة السياسية:

للمؤسسات الاجتماعية اليوم وظائف متعددة ومتشعبة ومن أهمها:

1. **وظيفة التمكين:** من أهم وظائف المؤسسات السياسية الحديثة، وهو قيامها بمساعدة الدولة

والمجتمع على إيجاد القيم المناسبة وترسيخ القواعد العامة ووضع وتحديد خريطة المشهد السياسي الذي يعمل فيه المنتمون إليه.

2. **وظيفة التوفيق:** وهي الوظيفة الثانية للمؤسسة السياسية، وتتمثل في محاولة القيام بعملية

التقريب والملائمة وبناء الجسور بين القيم المتناقضة في المجتمع، أي محاولة الجمع بين القيم المتنافسة والمتصارعة كسبيل المثال التقريب بين قيمة " الحرية " من جهة ومن جهة أخرى بين قيمة " المساواة " .

3. **وظيفة التنظيم:** أما الوظيفة الثالثة والمهمة من وظائف المؤسسات الحديثة اليوم هو عملية

تنظيم المواطنين في الدولة ووضعهم في مهام وهياكل مختلفة، ويقصد بالتنظيم كذلك وجود لوائح ونظم داخلية لهذه المؤسسات تشكل الأساس الذي يقود إما لنجاحها أو فشلها.

4. **وظيفة الترشيد:** بمعنى قيام المؤسسات الحديثة بتوجيه النمو والتطور في الدولة وتحفيز

المواطنين على أداء واجبهم من خلال إعطاء معنى وهدف للأنشطة التي يقومون به.

5. **وظيفة المشاركة:** يعني ضرورة وجود المؤسسات المناسبة لنجاح أي عملية مشاركة سياسية

حقيقية في أي دولة، أي غياب هذه المؤسسات سيؤدي حتما إلى انتشار الظواهر السلبية مثل

الغش والرشوة والمحسوبية والفساد ومن ثم عرقلة النمو والتطور.

6. **وظيفة الشرعية:** إن وجود المؤسسات في مجتمع هو الشرط الأساسي والضروري لإضفاء

الشرعية على تصرفات وقرارات الدولة.

7. **وظيفة الاستقرار:** وهي وظيفة المؤسسات السياسية في الحفاظ على الاستقرار والحفاظ على

مكونات المجتمع ككل وإتاحة الفرص للجميع لتحقيق أهدافهم وغاياتهم المشروعة.¹

رابعا: الاتجاهات النظرية في تحليل المؤسسة السياسية:

اتجهت الدراسات السوسيولوجية للبحث في تابعات المؤسسة السياسية في الواقع الاجتماعي،

ليس ككيان قانوني ومعيارى جامد بل باعتبارها مجموعة من الفاعلين يحملون تصورات وقيم خاصة

تجمعهم، يكون أثرها نتاج لعلاقات القوة ولعلاقات الاعتماد المتبادل بينهم وبين أعضاء المؤسسات

الاجتماعية الأخرى.

فتعود الارهاصات الأولى للتنظير ومقاربات المجتمع الإنساني والقضايا الهامة للشؤون

السياسية في المجتمعات، للحضارات القديمة والقرون الوسطى مروراً بإسهامات فلاسفة عصر التنوير،

والتي ساهمت في بلورة وظهور وتطور المؤسسة السياسية في شكله الحديث ونشأة علم قائم بذاته على

أسس علمية ومنهجية يبحث في القضايا السياسية، كمفهوم القوة والسلطة والشرعية والمشاركة السياسية

والديمقراطية والصراع الأيديولوجي بين الطوائف والجماعات السياسية خاصة في المجتمعات الحديثة.

1. الفكر السياسي في الحضارة الإغريقية

✓ أفكار أفلاطون:

إن معاشة أفلاطون للوضع المزرى الذي وصل إليه المجتمع اليوناني من مشكلات اجتماعية

والفساد وانحلال وتراجع القيم الأخلاقية والاجتماعية، دفعته لمحاولة تجاوز الواقع المرير الذي أصبح

يعصف بالمجتمع اليوناني والبحث عن مجتمع يخلو من كل الظواهر السلبية والذي طرحه في كتابه "

الجمهورية حول مجتمع المدينة الفاضلة"، تلك المدينة التي تصورها أفلاطون تقوم على قيم الفضيلة

والعدالة والحكم الصالح والرشيد والذي تتحقق في ظل هذه القيم المعنوية العظيمة.

¹ مرجع سابق، ص 134.

✓ نيكولا مكيافلي:

تبرز أهمية مكيافلي في أنّ البعض اعتبره من أبرز المساهمين في بلورة علم جديد للسياسة، خاصةً في كتابه «الأمير» الذي ألفه العام 1513م ومهما تنوعت الآراء حول موقع مكيافلي وإسهاماته، فإنه من الموضوعية القول إنه دشن مرحلة جديدة للفكر السياسي في أوروبا، تدرج ضمن ما يمكن أن نسمّيه البذور الأولى للعلم بالسياسة، ودون أن يُعلن صراحةً أنه بصدد التأسيس لعلم جديد.

الأمر الذي يدفع إلى القول إن كتابات «مكيافلي» وخاصةً «الأمير» الذي أصبح رمزاً للمكيافيلية أو السياسة الواقعية الصرفة، تدرج في الاتجاه التجديدي على الأقل في مسألتين:

المسألة الأولى: تتمثل في أنه تابع السياسة وقضاياها كما تجري في الواقع وليس كما يُفترض أن تكون. ما يعني النظر إلى الظواهر السياسية بعيداً من العواطف والمثل العليا، أي متابعة الآليات الحقيقية للحياة السياسية بدلاً من الاقتصار على معالجة خيالية ومواقف غير ملموسة في أرض الواقع (وهذا ما سوف يؤسس لاحقاً لتطور النظرة إلى الظاهرة السياسية)، من هنا أشار «فرنسوا بيكون» "إلى أنه يجب شكر «مكيافلي» وأمثاله الذين يقولون بصراحةٍ ومن دون مواردٍ ما اعتاد الناس على فعله"، وهذا ما كان قد أكدّه «مكيافلي» الذي أصبح يعصف بالمجتمع اليوناني عندما قال: «إنني أرى أنه من الأفضل أن أمضي إلى حقائق الموضوع بدلاً من خيالاته».¹

المسألة الثانية: تتمثل في مقاربتة السياسية لموضوع البحث وقضاياها بالاستناد إلى المنهج التاريخي المقارن والملاحظة العيانية، ويظهر اعتماده على الملاحظة في كتاب «الأمير»، إذ لاحظ سياسات عصره وحوادثه بدقة، كما يظهر اعتماده المنهج التاريخي في كتاب المطارحات، من هنا أشار «موريس دوفرجيه» إلى «أن مكيافلي» أرسى في علم السياسة العنصر الثاني، وهو المنهج الموضوعي المتجرد من الاهتمامات الخلفية بعدما أرسى أرسطو العنصر الأول في علم السياسة».

استناداً إلى المسألتين فإن «مكيافلي» اعتقد أنه يمكن اكتشاف قوانين ثابتة للسياسة، وذلك من خلال نظرتة السلبية إلى الإنسان وطبيعته. فما دامت طبيعة الإنسان السيئة معطى ثابتاً لا يتغير ولا يتبدل، فإن سلوكه السياسي يخضع أيضاً إلى نوااميس ثابتة لا تتغير، وبهذا الربط ما بين علم السياسة والسلوك الإنساني وتبلور نظرية «مكيافلي» لعلم الاجتماع السياسي، من هنا تغدو السلطة ضرورة ملحة وحاجة دائمة في الاجتماع الإنساني، لأنها تؤدي دور الوازع الذي يقي الإنسان من شر أعماله ويحميه من عواقب طبيعته السيئة.

¹. Machiavelli, N. **The Prince**, Penguin Classics, London, 1970, P. 12.

✓ ابن خلدون:

يعد «ابن خلدون» من مؤسسي علم الاجتماع السياسي، فقد تناول قضايا ذات طابع سياسي اجتماعي، فقد تحدث عن الملك الذي هو غاية العصبية وظهور الدولة كنتاج لتطور العصبية.

بالنسبة إلى ابن خلدون، تكون السياسة مستوى بنيوي للعمران ولا تتخذ طابع مختلفا أساسيا عن المستويات البنيويّ الأخرى، فهي واقع اجتماعي ينبغي دراسته مثل الوقائع الاجتماعية الأخرى.

فالسياسة عند «ابن خلدون» لا تتحدد بالرجوع إلى «المدينة المثالية» عند أفلاطون أو الفارابي، بل بالكيفيات الملموسة لتكوين أعضاء ضامنين لسيطرة جماعة من الناس على آخرين حيث يقول: «بالنسب إلينا، عندما نتحدث عن الوظائف الملكيّة والحكومية، فإننا ننصب أنفسنا من وجهة نظر طبيعة العمران ووجود الإنسان وليس من الشرائع الدينية الخاصة»

إذا السياسة ملازمة للمجتمع، ويتطرق «ابن خلدون» إلى معالجة قضايا اجتماعية ذات طابع سياسي، منها السيادة السياسية إذ يقول: «إنه من الممكن أن تتحدد السيادة السياسية بهيمنة جماعة من البشر على آخرين، ويتساءل كيف يمكن أن ننظر إلى الدور السياسي الذي اتخذته النبوة الإسلامية، والمسألة برأيه مهمة، إذ إن ظهور الديانة الإسلامية كان تاريخيًا مصاحبًا لتأسيس إمبراطوريات عربية كبيرة، ويعرض ابن خلدون حلا لهذه المشكلة معًا التمييز الأساسي الذي جعله بين العالم الإلهي المقترّب من الإيمان والعالم الأرضي، بما فيه عالم الاجتماع المقترّب من العقل، ويُحسب أنه إذا كان تدخل الدّين في العالم الأرضي لا يمكن بحثه عقلانيّ في ماهيته، فيمكن بحثه من خلال تظاهراته، وبهذه الصفة، فهو خاضع لمقاربة سوسيولوجية»¹

أما بخصوص مفهوم العصبية في تعقيدها، فيجب أن نفهم أنها تعمل على مستويين.

الأول: نمط خاص من التنظيم السياسي.

الثاني: الحركة التي من خلالها ينتقل العمران من «الديموقراطية القبلية إلى الدولة المركزية». فالعصبية تتأسس على ترابط واقعين متناقضين: التعاون القبلي من جهة، ووجود جماعة مهيمنة من داخل القبيلة من جهة أخرى، فالهيمنة التي تمارسها الأرستقراطية القبلية في داخل العصبية نفسها تسمح بفهم أنها تشكل القوة المحركة لصيرورة التنظيم السياسي للعمران، وبهذا المعنى يُعد «ابن خلدون» من مؤسسي علم الاجتماع السياسي، فهو قد تناول موضوعات وقضايا ذات طابع سياسي اجتماعي، فتحدث عن الملك الذي هو غاية العصبية وعن الدولة حيث يظهر الملك والدولة في فكر «ابن خلدون» كنتاج

¹ ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨، ص 41.

لتطور العصبية، إضافة إلى التنظيم القبلي الذي يركز على اختلاط بين علاقات ملكية وعلاقات سياسية، في حين أن تنظيم الدولة يركز على استقلال ذاتي للركن السياسي، وهو يعد أن صيانة النظام تتحقق على أساس العقد الأخلاقي، على المستوى القبلي من جهة، وعلى أساس الإكراه المادي على مستوى سياسة الدولة.

2. تبلور المقاربة السياسية في العصر الحديث:

بدأ الاهتمام بالقضايا السياسية والظواهر التي تخلفها على الواقع الاجتماعي بمنهجها الحديث إلى بدايات القرن التاسع عشر، حينما اشتدت رغبة بعض الفلاسفة والمفكرين في إقامة علم اجتماع قادر على دراسة المجتمع الإنساني باستخدام أدوات منهجية محايدة قدر الإمكان.

ولا شك أن الإنجازات المهمة التي حققتها العلوم الطبيعية (وخصوصاً الفيزياء والأحياء والرياضيات...) كان لها تأثير بالغ في هذا المجال.

وربما كانت كتابات «سان سيمون» هي البداية الحقيقية لإقامة علم سياسي مستند إلى دعائم وضعية، ففي سنة 1813م ذهب هذا المفكر إلى أن الأخلاق والسياسة يمكن أن يخضعا لمعايير العلم الوضعي الذي يعتمد على شواهد واقعية محايدة، وبعد ذلك بوقتٍ قصير تعاون «سان سيمون» و«أوغست كونت» في إخراج مؤلف شهير بعنوان «خطة للعمليات العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع (1822)»، وهو المؤلف الذي ذهب فيه إلى أن السياسة هي ضرب من الفيزياء الاجتماعية التي تهدف للوصول إلى القوانين الثابتة التي تحكم التقدم الإنساني، ومن الواضح أن العلاقة بين علم السياسة وعلم الاجتماع كانت بالغة القوة منذ مطلع القرن التاسع عشر ومع الجهود الأولى لإقامة العلمين.¹

وإذا كان علم السياسة قد أعلن منذ البداية اهتمامه الأساسي بإقامة نظرية في الدولة، إلا أنه قد ارتبط ارتباطاً مباشراً بعلم الاجتماع من خلال هدفهما النهائي المعلن وهو الإسهام في تحقيق الإصلاح الاجتماعي وبناء مجتمعٍ جديد لا يعرف الانقسامات والصراعات التي صاحبت الثورة الفرنسية.

¹ محمد علي (الدكتور)، مرجع سابق، ص 73.

لقد ذهب «كونت» إلى أن الظواهر الاجتماعية يجب أن تخضع للتحليل العلمي عن طريق استخدام الملاحظة والتجربة والتجريد، وأن ذلك ينطبق أيضا على الظواهر والحوادث السياسية، ومع ذلك فإن «كونت» لم يذهب إلى حد التطبيق الحرفي لمناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية.

أما المفكر الفرنسي «شارل مونتسكيو» يندرج ضمن الاتجاه التجديدي في مقارنة السياسة وقضاياها، ويعتبر مؤلفه «روح القوانين» أو «روح الشرائع» العام 1748م إحدى المساهمات المهمة التي أغنت الجهد والنظم لإقامة علم السياسة، فعلم السياسة برأيه لا يمكن أن يُبنى إلا على موضوعه الذاتي، أي على الاستقلال التام للسياسة.¹

لذلك عد كتابه هذا أول مؤلف في علم الاجتماع السياسي، ويمكن المتابعة مع «مونتسكيو» في مسألتين، تدخلان في سياق توضيح الإرهاصات الأولى للكتابات التي جددت في دراسة الاجتماع الإنساني وقضاياها السياسية في مسألتين:

-الأولى: تتعلق من حيث المبدأ في نظريته للاجتماع الإنساني، فقد عد أن المجتمعات لا يمكن أن تظهر بصورة عفوية أو ارتجالية أو عشوائية أو اعتباطية، بل تخضع لقوانين محددة، وأن لكل مجتمع قوانينه الخاصة المنبثقة عن ظروف المجتمع وأوضاعه، من هنا أشار «مونتسكيو» إلى أمرين:

-الأول: العلاقة الوثيقة بين تنوع القوانين وأشكال الحكم، فخصوع القوانين لعوامل تساهم في بلورتها مثل العوامل الجغرافية (أرض، مناخ، تربة) وعوامل اجتماعية (الدين، حوادث الماضي، العادات، التقاليد...) من هنا فإن تغير الظروف يؤدي إلى تغيير القوانين، وبالتالي تغير أنظمة الحكم والدول (جمهوري ملكي، ديكتاتوري...).

- الثاني: تتعلق بالمنهج المعتمد في مقارنة الظواهر السياسية وخاصة في كتابه «روح القوانين»، فقد تجاوز «مونتسكيو» المبادئ الأولية المثالية «أفلاطون» مثلا كما تجاوز المبادئ الرياضية الهندسية «لوك» واستند إلى الملاحظة الحية والمعطيات المادية التي يقدمها الواقع بعيدا من المناقشات الميتافيزيقية، إن «مونتسكيو» درس ما هو قائم في الواقع المجتمعي، وليس ما يجب أن يكون عليه هذا الواقع، الأمر الذي يقربه من المنهج الاستقرائي لأنه انشغل بالوقائع والظواهر من جهة، ويؤسس من جهة أخرى لمقاربة مختلفة للظاهرة السياسية.²

¹ المرجع السابق، ص 84.

² المرجع السابق، ص 102.

لقد تعددت منذ القرن التاسع عشر أسماء المفكرين الذين يندرجون في إطار المناخ التجديدي في مقارنة الاجتماع السياسي وقضاياها. وبالتالي المساهمة في بلورة علم الاجتماع السياسي، وقد تكون خصوصية هؤلاء المفكرين أن غالبيتهم من رواد علم الاجتماع أو من مؤسسيه مثل: سان سيمون، أوغست كونت، هربرت سبنسر، إميل دوركايم، ماكس فيبر، باريتو، رايت ملز، وكروزييه، كارل ماركس وإنجلز فضلا عن المدرستين الوظيفية والبنوية في النصف الثاني من القرن العشرين.

لذا سنحاول ضمن هذه التشكيلة المتنوعة من المفكرين أن نشير إلى بعض النماذج المحددة لإبراز ما أمكن ما يشير إلى «التجديد» في مقارنة الواقع الاجتماعي ومتابعة قضاياها السياسية.

✓ أوغست كونت 1798-1857

تعدّ أفكار «كونت» تجسيدا مباشرا للحوادث المضطربة التي عصفت في عصره، الأمر الذي جعله من أبرز الساعين لتقديم تصور نظري لما يفترض أن يكون عليه الواقع المجتمعي بناء على التحولات التي شهدتها القرن التاسع عشر، من هنا يندرج «كونت» ضمن الاتجاه التجديدي في الكتابات التي أولت الاجتماع الإنساني اهتماما خاصا، وما عكسه هذا الاهتمام من تأثير في متابعة السياسة وقضاياها، خاصة لجهة العلاقة التفاعلية بين السياسي والاجتماعي، الأمر الذي ساهم في التأسيس لعلم سياسي جديد، ويمكن لحظ هذه النظرة عند «أوغست كونت» من خلال مسألتين متداخلتين:

المسألة الأولى: تتمثل في كونه أبرز مؤسسي علم الاجتماع، فقد استنبط كلمة «السوسيولوجيا» اسما لعلم يُعنى بدراسة الوقائع الاجتماعية، بوصفها تشكل واقعا متميزا له قوانينه الخاصة، كما هي الحال بالنسبة إلى الوقائع الفيزيائية أو البيولوجية، ما يجعل النظرة للسياسة وقضاياها مستندة إلى بعدها المجتمعي، أي أنها وليدة المجتمع وظروفه.¹

المسألة الثانية: تتمثل في النظرة التي سادت عصر «أوغست كونت» تجاه العلم، أي محاولة تطبيق المناهج العلمية في دراسة المجتمع ووقائعه.

من هنا مر الفكر الإنساني بثلاث مراحل: المرحلة الأولى اللاهوتية (تعلل الأشياء بكائنات غيبية) والمرحلة الميتافيزيقية (تعتمد على الإدراك المجرد) والمرحلة الوضعية (اكتشاف القوانين عن طريق الملاحظة والتجربة الحسية).

² نفس المرجع، ص 119.

إنّ هذه النظرة تدفع إلى رؤية الظواهر السياسية بطريقة مغايرة، تستند إلى أنها ظاهرة من ضمن علم الاجتماع، وعليه قال «كونت» «إن فهم السياسة عامة، ودرس النظم السياسية خاصة، يرتبطان بفهم ودرس النظم الاجتماعية التي تتعلق بها».

-إنّ التركيز يفترض أن ينصب على المجتمع لا على الفرد، وبالتالي، النظر إلى الظواهر السياسية ضمن بيئتها الاجتماعية.

✓ كارل ماركس (1818-1883):

يُعد «كارل ماركس» من أبرز المساهمين في بلورة علم السياسة. وقد تركت أفكاره ولا تزال تأثيراً مهماً على الفكر والممارسة السياسية، إن ما طرحه «ماركس» جعل من الظاهرة السياسية مسألة على قدر كبير من الأهمية، كونها ترتبط مباشرة بالواقع المجتمعي ومآسيه، فالظواهر السياسية عنده مراقبة للاجتماع السياسي والقوى المجتمعية، وهذا برأيه يفرض على القوى التغييرية الرافضة للواقع الطبقي الظالم أن تعي مختلف الظواهر السياسية في بيئتها، الأمر الذي جعل «التسييس» بكل معانيه وأبعاده (النظرية، الفكرية والمعرفية...) «سلاح» هذه القوى، وجعل متابعة ظواهر السياسة وقضاياها «الخبز» اليومي، إذا أجاز التعبير لشرائح المجتمع عامة والطبقات المسحوقة خاصة.

لقد عُدت الماركسية أنها لا يمكن القول بوجود ظاهرة سياسية مستقلة وقائمة بذاتها، لأن الظاهرة السياسية ليست مسألة عابرة وآنية بل هي تعبير عن بنية طبقية معينة، إن هذه النظرة التي قدمها «ماركس» أبعدت فهم الظاهرة السياسية ومتابعتها عن التفسير القانوني البحث، لأن حقيقة الظاهرة السياسية وغيرها من الظواهر المجتمعية، تكمن بالنسبة إلى الماركسية في معرفة علاقات الإنتاج في البنية التحتية وتحليلها، إذ تُعد هذه البنية الأساس الذي تنبثق منها الظواهر الأخرى، وبهذا السياق قدم كارل ماركس رؤيته وتحليله للظواهر السياسية.¹

لقد اختمرت في المجتمعات الأوروبية معطيات القرون السابقة عامة، ومعطيات مرحلة الدولة الحديثة خاصة، لتنتج تحولاً في الواقع الاقتصادي والسياسي والعلمي وفي مضمون الاجتماع السياسي، فعلى مستوى شكل الاجتماع السياسي فقد ترسخت فكرة الدولة الأمة أو الدولة الدستورية التي تضم جماعة تبدو متجانسة مبدئياً لغوياً ودينياً وتعلن انتماءها لأمة – دولة واحدة، ولعل «الجديد» في هذا الشكل للاجتماع السياسي هو قيام الإمرة (السلطة، السلطان) على أساسين:

الأول: قانوني: استند إلى ما طرحته الثورة الفرنسية.

¹ Marx, K. **Selected Writings in Sociology and Social Philosophy**, Edited by Bottomore and Rubel, A Pelican Book, Middlesex, England, 1967, P. 119.

الثاني: انبثاق السلطة من الشعب: ويُعد هذا القانون الناظم للاجتماع خطوة غير مسبقة في تاريخ الاجتماع السياسي، وهو ما عُرف بالحركة الدستورية، أي الدعوة لإقامة الانتظام السياسي على أساس نص دستوري ينظم العلاقات بين الحاكم والمحكوم، الأمر الذي يجعل الشعب مصدر السلطة، فالسلطة تنبثق من الشعب وإلى الشعب يعود الاحتكام في ممارستها إلى الطبقة الشعبية، وهو ما عرف في التاريخ السياسي وفي الفكر السياسي بالديموقراطية.¹

خامسا: الدولة كأهم مؤسسة سياسية غايتها ومشروعيتها:

أ- بعض المفاهيم المتعلقة بالدولة:

✓ **مفهوم الدولة:**

السياسة هي الدولة نفسها باعتبارها أهم وأكبر المؤسسات السياسية في المجتمع، وهي مؤسسة أو منظمة اجتماعية لها سلطة نهائية على كل الأشخاص المتواجدون في إقليمها، فهي فن حكم المجتمعات السياسية.

✓ **تعريف النظام الساسي:**

هي النظم الاجتماعية التي تندمج فيها وتخضع لها سائر التنظيمات والمجموعات الاجتماعية الفرعية الموجودة على إقليم معين، ولقد تطورت هذه النظم عبر التاريخ من قبيلة إلى دول مدنية إلى الأشكال الإمبراطورية للدول، مروراً بالنظم الإقطاعية إلى نمط الدولة الأمة في بداية عصر النهضة في أوروبا.

✓ **مفهوم دولة المؤسسات:**

هي دولة القانون، الدولة التي تركز على الدستور، والفرد فيها خاضع للقانون والدولة، وفيها تكون المؤسسة ثابتة والفرد يتغير.

ب - مفهوم الدولة وشرعيتها عند علماء الاجتماع:

تعددت التعريفات المتعلقة بالدولة نتيجة لتعدد المقاربات المختلفة والنظريات التي تحاول أن تقارب هذا المفهوم وتدرسها والكيفية تنظر إليها بشكل عام.

فتعرف الدولة على أنها تنظيم سياسي لجماعة ما على أرض محددة، وبالتالي مادام هي تنظيم سياسي مرتبط بأرض وجماعة فهو حادث تاريخي، يستمر عبر الزمن، وهنا نطرح التساؤل حول مشروعيتها، كيف يتقبل الأفراد بقائها؟ ثم ما هي الغاية التي ستحددها؟

¹ المرجع السابق، ص 125.

✓ مفهوم الدولة ومشروعيتها عند ماكس فيبر:

يعتبر ماكس فيبر مفكر بارز، صاحب أفكار ومفاهيم وطروحات غاية في الأهمية، والدراسة مهمة لفكر متميز بالبحث العلمي والفهم التفسيري والإسناد السببي وأهمية المعنى والدقة العلمية أو الموضوعية العلمية والحياد القيمي.

قد يؤخذ على دراسات ماكس فيبر أنها على عكس دراسات دوركهيم وسان سيمون وبارثيو، لم تكن تهدف إلى إصلاح المجتمع أو تغييره، وتصب في رؤية محافظة تقبل بالنظام القائم، ولكن بالتأكيد الحديث في مواضيع محددة من مثل العقلانية والبيروقراطية والكاريزمية والرأسمالية والفردانية والطبيعة الوسطى وسياسة القوة واحتكار الدولة للعنف الشرعي وغيرها.

أجابت دراسات ماكس فيبر على العديد من المشاكل المعاصرة، وتسمح بنقاشات منفتحة وأحياناً تناقضات مع إيمانه في الدين والسياسة والقيادة وما يسميه العقلانية اللازمة لنشوء الرأسمالية، ورؤيته وتحليله للأفكار التي تتعارض مع العقلانية اللازمة لنشوء الرأسمالية أو للعقد الاجتماعي ككل، في خضم كبير من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي غيرت الكثير من أشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي والديني التي ساهمت في تكوين وتشكل السوسيولوجيا "الفبرية" كظاهرة فكرية مهمة وطلعية في القرن العشرين.

يقول "ماكس فيبر" لا يمكن أن نعرف الدولة من خلال وظائفها، أي من خلال الوظائف ولأدوار التي تؤديها لأن هذه الوظائف تتغير وتتطور حسب الظروف والمجتمعات ونوعية المجتمع، ويمكن الاعتماد في تعريفها على ما تمتلكه من "عنف" و "قوة" أي استعمال القوة من أجل القيام بمهامها والحفاظ على استقرارها ونظامها.¹

أي لتفعيل الممارسة السياسية تحتاج الدولة إلى قوة ولكي يتسنى لها ممارسة هذا العنف المشروع لبدا لها من هيمنة، وهذا النوع من الهيمنة هو الذي يحدد نوعية الدولة وبالتالي سيحدد لنا أنواع من الهيمنة، وفي محاولة منه أي "ماكس فيبر" للربط بين السياسة والمجتمع يقول "لا يمكن الحديث عن السياسة خارج الدولة، وكل ممارسة سياسية تكون داخل الدولة كيفما كانت هذه الممارسة السياسية، و بالتالي مادام أن السياسة هي تدبير لتجمع مشترك، و بالتالي غياب للسياسة يعني وجود الفوضى وبالتالي غياب الدولة، فهذه السياسة هي التي تحدد لنا معالم الدولة".

¹Max Weber, *Economie et société Organisation et puissances de la société dans leur rapport avec l'économie* T2 , pocket, 27 janvier 2003, p 256.

فالسيسة عند ماكس فيبر هي فعل تنظيم واحترام القانون والمشاركة في السلطة من أجل تدبير الشأن العام، والدولة تحتاج إلى ممارسة العنف والقوة في تطبيق هذه الأحكام والسياسات والقوة تحتاج إلى هيمنة وهذه الهيمنة ضرورية لبقاء الدولة، وتختلف هذه الهيمنة حسب المجتمعات:

- الهيمنة التقليدية:

يكون أساسها تقليدي مقدس من التاريخ، ويحكمون الأفراد بمنطق النسب، الأسرة ورابطة الدم.

- الهيمنة الكاريزمية:

تتمثل في تأثير شخص معين بطل له مواصفات خاصة وخارقة لا تتوفر في جميع الأشخاص يتبعونه بشكل انفعالي ويحكم ويهيمن بهذه الطريقة.

- الهيمنة البيروقراطية:

وهي الطريقة العقلانية القانونية أي بمشروعية القانون، القانون هو الذي يخضع له الجميع، ولا أحد فوق القانون إذن الهيمنة هيمنة قانونية يخضع لها الفرد باسم القانون.

رأى ماكس فيبر أن وجود الأفراد يتطلب وجود دولة، وذلك لأنها هي التي تضمن له المصالح المادية، فهي التي تحمي المؤسسات، الملكيات الخاصة، وإيضاً النظام العام وذلك عن طريق القواعد القانونية التي يخضع لها المجتمع كله، والدولة تكون مجبرة على تحقيق كل ذلك، فإذا كنا نجزم بأن هدف الدولة هو بسعاد المواطنين، فإذا لم يحسوا بالسعادة داخل الدولة فهذا يعني أن حاجياتهم لم تشبع، وبالتالي فالدولة هي المسؤولة عن هذا الإحساس، وكل تقصير قد يؤدي إلى وجود خلل، أما إذا استطاعت الحفاظ على ذلك، فهذا يعني أنها لا تزال مرتكزة على أساس متين.

بالنسبة إلى ماكس فيبر، إذا فالدولة أداة لتسيير النشاطات الإنسانية وبالتالي فالدولة هي التي تخلق القانون الذي يخضع له الأفراد، وهنا يطرح التساؤل الآتي: أليس هذا من شأنه أن يسقط فيبر في المبادئ الليبرالية وخاصة مبادئ الكرامة (Dignité)، والمساواة التي يضمنها القانون والتي نجد جذورها تمتد منذ القدم؟¹

إن ماكس فيبر معروف عنه أنه كان يعادي الليبرالية بكل مكوناتها، وربما استند في ذلك إلى أفكار هيغل الذي كان يرفض النظرية التعاقدية (La Théorie contractualiste) وكان يميز بين المواطن والبورجوازي، وهو التمييز الليبرالي الذي لا نجده إلا مع القرن التاسع عشر، ولعل هذا ما

¹ Opcit, p 56.

دفع بالمفكرين إلى اعتبار المواقف الهيغلية المعادية للليبرالية أنها ساهمت في تراجع فلسفي للفكر الليبرالي.

إن ماكس فيبر الذي تحدث عن كرامة الفرد داخل المجتمع كان يؤمن أن الليبرالية وإن كانت تدعو إلى حقوق الفرد في المساواة والكرامة، إلا أنها في الوقت نفسه قد تحط من قيمته، وتجعل منه عبداً لغيره من الافراد، وهي الفكرة نفسها التي نجدها عند كارل شميت الذي ذهب إلى أبعد من ذلك، واعتبر أن الليبرالية قامت بتشويه وإفساد مجموعة من المفاهيم السياسية¹.

لكن شميت وإن كان ينتقد الفردانية الليبرالية، إلا أنه وعلى خلاف فيبر كان يقترح نموذجاً مثالياً للعلاقة التعاقدية بين الأفراد والتي من شأنها أن تلحق الإنسان بوجوده الحقيقي.

لم يهتم فيبر إذا بالمبادئ الليبرالية ولم يؤمن بصدقيتها، وجاء اهتمامه بها لاهتمامه بالفرد داخل المجتمع، بالتالي ففكره في الفردانية لا علاقة له بإعلان حقوق الإنسان، وإنما بالمؤسسات التي يوجد داخلها الفرد، فالفرد لا يمكن دراسته إلا من خلال المؤسسات التي يوجد بداخلها، والتي تحكم أنشطته، والتي استخلص من خلالها فيبر عددا من المفاهيم كالدولة، والتجمع، والفيودالية، والتي تعبر بالضرورة عن تواجد تفاعل بين الأفراد داخلها، وبالتالي فالفرد لا يمكن دراسته بمعزل عن الجماعة².

إذن بعد هذا التحديد المفاهيمي لمفهوم الدولة انطلاقاً من ماكس فيبر ننتقل الآن إلى مشروعية الدولة وغايتها وسنستعرض مجموعة من الفلاسفة والعلماء عبر التاريخ:

فمثلاً في الفلسفة اليونانية وخاصة عند أفلاطون يرى أن مشروعية الدولة لها أساس طبيعي فوجوده مرتبط بالطبيعة هي التي فرضتها، لأن الطبيعة فيها اللامساواة، فالأفراد في الطبقة غير متساوين ونتيجة لعدم المساواة هذه فهم في حاجة إلى دولة تنظم أحوالهم لكي لا يكون هناك اختلال نتيجة لعدم التكافؤ، وبالتالي تصبح غاية الدولة هو تحقيق العدالة بين الافراد نتيجة للمساواة في العقل و الكفاءة و القوة، فلا بد من وجود دولة تنظمهم وبالتالي فمشروعيتها فرضتها الطبيعة إذن أساسها طبيعي والغاية هو تحقيق العدالة بين الافراد الغير متساوين كما خلقتهم الطبيعة.

بينما أرسطو مشروعية الدولة لديه كذلك هي أساسها طبيعي لكن ليس هدفها تحقيق العدالة في ذاتها بل الهدف هو تحقيق الاكتفاء الذاتي، لأن اللامساواة موجودة بين الأفراد في تحقيق احتياجاتهم الضرورية ولا بد لهم من تعاون وتضامن فيما بينهم من أجل تحقيق ذلك الاكتفاء الذاتي الذي سيؤدي للسعادة في الأخير، وهي غاية الدولة في إلغاء التفاوت الطبقي وإلغاء الاختلافات بين الأفراد.

¹ Opcit , p59.

² Ibid, p60

أما مشروعية الدولة في **الاتجاه الديني** هي مشروعية إلهية أي أن الله هو الذي جعل الدولة و أقامها و بالتالي الكل يجب أن يخضع إلى هذا التدبير الإلهي، ومشروعيتها هي مشروعية إلهية و غاياتها هي إنارة الطريق إلى الله بشكل عام فالأفراد ملزمون باتباع الدولة و قبولها.

أما في عصر النهضة مع **ماكيا فيلي** فمشروعية الدولة لديه أن الناس عدائيين ويجب ضبطهم وهم بطبيعتهم أشرار و غير مسالمين و لابد من حضور الدولة والسلطة وهي ضرورية للاجتماع الإنساني لردع هذا العدوان و بالتالي الدولة غايتها هي الحفاظ على الأمن والسلام.

وذهب فلاسفة العقد الاجتماعي في هذا الاتجاه مع بعض الاختلافات فيما بينهم:

فعند **توماس هوبس** فمشروعية الدولة لديه ربطها بالحالة الطبيعية وليس بالواقع الذي كان يعيشه **ماكيا فيلي**، الحالة الطبيعية هي الحالة الأولى البدائية التي كان عليها الإنسان فيقول هوبس أن الحالة البدائية كانت حالة حرب و صراع على الموارد حالة اقتتال و حالة حرب الكل ضد الكل، هذه الحياة الأولى التي كان الإنسان يعيش في الغابة مع الحيوان و هذا النمط الحيواني اين الكل يحاول الحصول على ما يريد على حساب الآخر، ومع تطور التاريخ الإنساني احتاج المجتمع إلى دولة تضبط هذه الحالة و بالتالي هذه المشروعية للدولة ضرورية من أجل الخروج من حالة الحرب إلى حالة الأمن و بالتالي تحقق الدولة غاية الأمن و السلام.

أما عند **جون لوك** فربط كذلك مشروعية الدولة بالحالة الطبيعية كما "هوبس" لكن غاياتها ليس الخروج من الحرب وإحلال السلام، لكن غاياتها هي المحافظة على الحقوق المدنية والخيرات، أي حق كل فرد في ضمان ملكيته وحقه في الحفاظ على خيراته، وأن تصبح الدولة مدنية أي حتى الحاكم يخضع للقانون يخضع للعقد الاجتماعي، على عكس **هوبس** الذي صرح على عدم إجبارية خضوع الحاكم للقانون لكي يبقى ممتلكا للسلطة والقوة المطلقة من أجل ضبط الأشخاص.¹¹

أما **جون جاك روسو** سيخالفهم في مسألة مشروعية الدولة فهو كذلك يراها تنطلق من الطبيعة ولكن سيختلف معهم في مسألة الطبيعة هذه، حيث يقول إن الإنسان بطبيعته كان مسالما كان طبيعيا يعيش في هناء، لكن عندما بدأ في بناء الاشكال الأولية لدولة وفي التجمعات والتنظيمات هنا دخل في حالة حروب وحالة مصالح وصراعات، و بالتالي غاية الدولة تحقيق هذا الأمن والسلام المفقود. **باروخ سبينوزا** عن فلاسفة العقد الاجتماعي فيما يخص مشروعية الدولة، حيث يقول أن مشروعية الدولة جاءت نتيجة عدم قدرة الافراد على تدبير الاختلافات بينهم، كيفما ما كانت هذه الاختلافات دينية عرقية ، مصالح و القوة فيصعب على الأفراد تدبيرها و التفاعل معها وفق العقل لأنها تكون خاضعة للغريزة

¹¹ Opcit, p 64.

و العاطفة وبالتالي يختلف الأفراد و يتصارعون و يقتتلون، وهذه الحالة التي توجد في الإنسان و التي هي عدم القدرة في إدارة و تدبير هذه الاختلافات استوجبت قيام دولة كي تضبط سلوك الناس وبالتالي غاية الدولة هنا وهو ضمان حرية الاختلاف.¹

وحسب ابن خلدون كما جاء في مقدمته إن حاجة الإنسان للعران البشري وحاجة هذا الكائن للعيش مع الشبيه الآخر حيث قدرة الفرد تبقى قاصرة على تحصيل حاجياته بمفرده هذا الشيء الذي يفسر مدنية الفرد، المدنية التي ستنقل الإنسان إلى زمن المؤسسة، ومدنية الإنسان هي الخيط الناظم لقيام الدولة المدنية، المدنية هي المبدأ المفسر لتطور المجتمع الكلي من (قبيلة، تجمعات، تنظيمات، مؤسسات) إلى دولة، وهنا نكون قد انتقلنا من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، و هنا يقول **جون جاك روس** في عملية الانتقال هاته "أوجدت في الإنسان سلوك معيناً وهو صوت الواجب بحيث أحل في سلوكه صوت الواجب واستبدال لغة الأهواء بلغة العقل و هذا ما سمح في مرحلة معينة من التاريخ البشري بظهور الدولة كتنظيم سياسي اجتماعي وقانون يخضع له جميع إرادات الأفراد".²

إن التنظيم المؤسسي هم تنظيم الوظائف العمومية مهما كانت هذه النظم فهي تقوم على مبدأ ما يسميه فلاسفة الأنوار بالعقد الاجتماعي، العقد الذي يقتضي التنازل على نفس القدر من الحقوق الطبيعية مقابل التمتع بنفس القدر من الحرية المدنية، وهذا ما يؤدي إلى ولادة قاعدة قانونية كقاعدة مؤسسية ضامنة لديمومة واستمرار الميثاق التعاقدية الذي أصبح يفرض على الإنسان الالتزام بمخرجات التعاقد الاجتماعي، وهو الالتزام الذي يحمل في طياته الاعتراف بسلطة مؤسسات الدولة، الالتزام الذي يتحول إلى التزام يتحرك ضمن فكرة الحق و الواجب باعتبار أن الفرد في إطار المجتمع المدني له حقوق وواجبات، ومسألة الاعتراف هذه تعبر في عمقها عن وعي ضمني بفكرة أن خضوع الأفراد للدولة ذلك يعني أننا نتقاسم في الآن ذاته مجموعة من الأداة و الطقوس و القوانين، التي تعبر عن إرادة مشتركة، معنى ذلك عندما نلتزم بالتعاقد مع الآخرين على تأليف هيئة سياسية واحدة في ظل حكومة واحدة فذلك يفرض الخضوع للقانون و قرارات الأكثرية و إلا لن يكون لهذا العقد أية قيمة.

¹ Paul Ricoeur, Hegel et Husserl sur l'intersubjectivité, dans: Paul Ricoeur, Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II, collection Esprit (Paris: Ed. Du Seuil, 1986), p. 297.

² ابن خلدون، مرجع سابق، ص 53.

المحور السابع:

المؤسسة الدينية

المؤسسة الدينية

أولاً: تعريف المؤسسة الدينية:

1. تعريف الدين:

- التعريف اللغوي:

للدّين تعاريف مختلفة من لغويين إلى فلاسفة وعلماء انثروبولوجيا وعلماء اجتماع. فالدين في اللغة العربية له تعاريف مختلفة فيذكر ابن منظور على سبيل المثال الدين بمعنى الجزاء والمكافأة قال: دِنْتُهُ بفعله دينا ، جزيته ، ودانه دينا أي جازاه .

والدين الطاعة، يقال وقد دنته ودنت له أي أطعته ... ودانه دينا أي أذله واستعبده.

وجاء في مجمل اللغة الدين العادة والشأن والدين طاعة الوالدين الحكم والجزاء.

أما في اللغة اللاتينية دلت كلمة religion على معنيين الأول أنها بمعنى جمع وربط، فقيل أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بالله أو آلهة، والثاني بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام. هذا إذا نظرنا إلى التعاريف اللغوية، أما الاصطلاحية فنجدها مختلفة حسب كل علم وحسب كل منظور وسنتطرق إلى بعض التعاريف:

- الدين في المنظور الفلسفي:

برزت بعض التعاريف لكانط وبرجسون وهيجل وغيرهم.

فكانط يقول: "أنّ الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية"¹... وقد توصل "برجسون" إلى تعريف ما أطلق عليه بالدين الثابت بأنه رد فعل تقاوم به الطبيعة ما في ممارسة العقل مما يشل حركة الفرد ويقضي على تماسك المجتمع... ويرى "هيجل" أنّ الدين فن باطني يصور لنا الحقيقة الإلهية من الداخل عن طريق الشعور الباطني.

فيرى ("شاتل" بأن الدين هو مجموعة واجبات نحو الخالق ... ويرى "فريزر" أن الدين يبدأ بظهور فكرة الآلهة أو على أكثر تقدير بظهور فكرة أرواح الأفراد أو أرواح الطبيعة التي يتخيلها المرء على غرار أرواح البشر، ويعرف "ميشيل مايير" الدين بأنه جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس وفي حق أنفسنا.²

¹ إمانويل كانط، نقد العقل الخالص، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط8، 2008، ص 207.

² مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، المنصورة : كلية الآداب جامعة المنصورة، 2008، ص 47.

- مفهوم الدين في المنظور السوسيولوجي:

يمثل البراد يغم السوسيولوجي رؤية معرفية تنظر للدين من زوايا مختلفة بحسب المقتربات التفسيرية التي اعتمدتها كل مدرسة على حدة، فبينما نجد المدرسة الوظيفية أو الوظيفية البنائية ممثلة بروادها المؤسسين كدوركاييم، كونت وبارسونز، ينظرون للدين على أساس أن له وظيفة اجتماعية يقوم بها في الحفاظ على توازن المجتمع و ضمان استمراريته فبينما يخص الاتجاه الوظيفي و الذي يتجه مباشرة الى البحث عن الوظائف أو الأدوار التي يقوم بها الدين داخل المجتمع و أثره في بعض النظم و المؤسسات الاجتماعية القائمة أو في عمليات التغيير الاجتماعي سلبا و إيجابا.

ويستنتج دوركايم وظيفتين أساسيتين للدين أولا تجمع الناس وكأنه يشبه الصمغ الذي يخلق التضامن الاجتماعي وثانيا اعطاء الناس وسيلة الإدراك العالم ورؤيته.

أما بارسونز ينظر للدين في العالم الحديث من خلال طريقتين الأولى من خلال الفاعلية التي نسبها للدين والثاني من خلال الخير الذي ينسبه اليه وإلى نتائج.

ونجد انتوني غدنز في كتابه علم الاجتماع يطرح مشكلة تعريف الدين بسبب تعدد الديانات والطقوس والممارسات، إلا أنه أعطى محاولة لتعريف الدين فقال: " ثمة منظومة من الخصائص التي تشترك فيها جميع الديانات، فهي تتضمن مجموعة من الرموز التي تستدعي الاحترام وتوحي بالرهبة كما أنها ترتبط بمجموعة من الطقوس والشعائر والممارسات الاحتفالية التي يؤديها من يعتقدون هذا المذهب أو ذاك ويحتاج كل واحد من هذه العناصر الى بعض التفصيل والايضاح".¹

ففي بعض الديانات يؤمن الناس بقوة واحدة سماوية مقدسة يعبدونها، وهناك شخصيات أخرى في بعض الديانات مثل بوذا وكونفشيوس، تستوجب الاحترام والتقدير غير أنها لا تستلزم التقديس والعبادة.

بعدما تعرفنا على أهم التعاريف ذات الصبغة الوظيفية للدين فإننا نعتقد أن الاتجاه الوظيفي لدراسة الدين يبقى قاصرا في إدراك كافة الأبعاد الشاملة والعميقة للمظاهر الدينية في حياة الفرد والمجتمع.

و من خلال عرضنا لمختلف التعاريف يتضح لنا كم هو مبهم و مختلف من علم الى آخر، ومن عالم الى اخر داخل العلم الواحد، وكما نعرف فإن التعريف نقطة أساسية لتحديد الظاهرة محل الدراسة، إلا أن هذه المشكلة لم تثبط الباحث الاجتماعي وعالم الفلسفة ورجل الدين وحتى الأنثروبولوجيين من دراسة الدين، وذلك لما له من أهمية في:

¹ انتوني غدنز. (2005)، علم الاجتماع (صفحة 569_570). بيروت_ لبنان : المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 569.

- يعتبر الدين من أهم الأنساق الاجتماعية الموجودة داخل أي مجتمع من المجتمعات.
- يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية ملازمة لنشأة وقيام أي مجتمع بشري، وهو من الجوانب الرئيسية التي تلعب دورا هاما في حياة كل من الفرد والجماعة والمجتمع.
- إن الظاهرة الدينية ظاهرة تتسم بالعالمية.
- الدين يؤدي وظائف اجتماعية هامة للفرد والجماعة والمجتمع.
- له أهمية بالغة في التغيير الاجتماعي. - إن الدين يلعب دورا هاما في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.
- يلعب الدين دورا هاما في التغلب على بعض المظاهر الباثولوجية (المرضية) في المجتمع.
- واستنادا ما تم عرضه من تعاريف مختلفة حول الدين في مختلف المنظورات واختلاف مفهومه عند العديد من الفلاسفة والعلماء، فيمكن تلخيص تعريفه فيما يلي:
- بانه نظام من القيم والعقائد والتصورات والافعال والطقوس الاحتفالية، والمقدس والتجربة التي يعيشها الاتباع والمؤمنين في ديانة ما.
- وهو ما أوحى به الناس من قبل الله لتحديد الطريق المستقيم، ولهذا يهتم بسلوكهم وبعلاقة بعضهم ببعض، وهو ما يجب الإيمان به وما تجب الطاعة به وهو الذي يجعل أثره في حياة الناس وتجعله متفاعلا مع مبادئه في السلوك والتفكير.¹
- ويعرفه محمد دراز: بأنه الإيمان بالذات الإلهية الجديرة بالطاعة والعبادة، هذا من حيث الحالة النفسية، ومن حيث الحقيقة الخارجية فهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية.²
- ومنه فالمراد بالدين اصطلاحاً: هو الانقياد نحو الطريق المستقيم الذي يبينه الله.
- وتتنوع الديانات حسب المختصين في الدين وأنثروبولوجيا الأديان إلى:
- الديانات الموحدة monotheism : والتي تعتقد وتؤمن بإله واحد كاليهودية والمسيحية والاسلام.

¹ محمد البي، الدين والحضارة الإنسانية، مكتبة الشركة الجزائرية ص 75.

² الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، 1995م، بيروت، ص105.

-تعدد الالهة polytheism : التي يعتقد الناس فيها بوجود الهة متعددة تحكم العالم والظواهر كآلهة الاغريق والرومان وديانات الهندوس والطاوية والكونفوشيوسية، إضافة الي عبدة الشياطين والملحدين الذين لا يؤمنون البتة في وجود الاله للكون.

2. ماهية المؤسسة الدينية:

يتجسد الدين اجتماعيا في شكل مؤسسات مختلفة ومتعددة الأدوار والوظائف والأهداف، أي الوجود الاجتماعي للدين يكون في شكل مؤسسة ذات اعتراف اجتماعي وسياسي وثقافي، وإن كان الدين سابقا عن المؤسسات الدينية، ذلك أن المؤسسات الدينية لم يعرفها الاجتماع الإنساني إلا في الفترات المتأخرة من تطور التنظيم الاجتماعي.

أي أن مأسسة الدين لم يتم إلا بظهور الدولة والتشريع لوجود هيئاته وأماكنه ووظيفته الاجتماعية، وكذا الاعتراف بقدسية أماكن العبادة وشرعنه وجودها مثل المعابد والكنائس والمساجد... الخ.

وسميت لهم هيئات تراتبية من حيث القوة والسلطة في المجتمع حسب علاقتها بالمؤسسة السياسية، إذن ظهور المؤسسة الدينية في شكلها الحديث مرتبط بحضارة المدينة وتوسع نطاقها داخل المجتمع تم بشكل متدرج حسب تطور التنظيم السياسي وغاياته، فالظروف الاجتماعية والثقافية والاعتراف السياسي هو الذي ابتكر وأسس للدين كمؤسسات تقوم بتسيير وضبط الجوانب الاعتقادية بما يتماشى مع الأهداف العليا للدولة.¹

ومنه تعرف المؤسسات الدينية على أنها مجموع المنشآت والتنظيمات والهيئات الإدارية والتعليمية والاستشارية وأماكن العبادة وملحقاتها التابعة أو الخاصة بالدين، التي تقوم بحفظ وصيانة بما يسمى المرجعية الدينية لدولة ما.

ثانيا: أنواع المؤسسات الدينية:

المؤسسة الدينية في شكلها ومضمونها تتمثل في كل تنظيم يستمد أو يعتمد في مقوماته على النظام الديني السائد المجتمع، ومن أنواع وأصناف المؤسسات الدينية نذكر:

- المؤسسات الضابطة (الأجهزة السياسية) مثل وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.
- الهيئات الاستشارية مثل المجلس الإسلامي الأعلى و دار الإفتاء.

¹ المرجع السابق، ص 134.

- منشآت الممارسة مثل المسجد و الزوايا.
- التنظيمات الدينية مثل الجماعات الدينية (الصوفية، المدخلية، الطريقة... الخ).
- الجمعيات الخيرية ذات طابع ديني أو إصلاحي مثل المدارس القرآنية و الدينية.

ثالثا: وظائف المؤسسة الدينية:

- للمؤسسة الدينية مجموعة من الوظائف والأدوار نلخصها فيما يلي:
- تنظيم و تسيير الحقل الديني (الشعائر، الفتوة و الطقوس).
- العمل على توطيد أليات الترابط الاجتماعي و صيانتها بهدف الحفاظ على وحدته.
- شرعنه الأوضاع السائدة في المجتمع أو التنديد بها.
- التنشئة و الضبط الاجتماعيين.
- شرعنه الخطاب السياسي أو نقد بما يتوافق مع الأحكام الدينية.
- تنظيم العلاقات الاجتماعية.
- دعم و صيانة النسق القيمي و المعياري للمجتمع.

رابعا: تعريف علم الاجتماع الديني:

بعد أن تطرقنا الى تعريف الدين وأهمية دراسته لما له من دور في الحياة الاجتماعية للفرد والجماعة والمجتمع، سنتطرق الآن الى تعريف فرع من فروع علم الاجتماع الذي يعنى بدراسة الدين، ألا وهو علم الاجتماع الديني.

يعتبر علم الاجتماع الديني فرعاً هاماً من فروع علم الاجتماع ويتناول هذا العلم دراسة النظم الدينية السائدة في المجتمعات الانسانية البدائية والمتحضرة، ويهتم بدراسة العلاقات المتبادلة والمتفاعلة بين الدين من ناحية والمجتمع من ناحية اخرى ودراسة صور التفاعل بينهما، وقد قدم علم الاجتماع الديني افتراضاً أساسياً فحواه أن الدوافع الدينية والأفكار والنظم تأثر بالقوى الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي والتدرج الطبقي، ويعتبر علم الاجتماع الديني أهم فرع من فروع علم الاجتماع لأنه مصدر الحياة الاجتماعية كلها.

يهتم عالم اجتماع الديني بالدين كمظهر لسلوك الجماعة والأدوار التي لعبتها الديانات على مر العصور، ويعرف البعض علم الاجتماع الديني بأنه العلم الذي يختص بدراسة النشاط الديني للمجتمعات، والعوامل الاجتماعية التي أدت إلى اختلاف الشعائر الدينية باختلاف المجتمعات، وعلاقة هذه الشعائر بالأوضاع الثقافية السائدة في كل مجتمع وتأثرها بعادات الناس والتقاليد.

خامساً: الاتجاهات النظرية للمؤسسة الدينية:

تحاول النظريات التي اهتمت بالدين اعطاء تفسيرات علمية ومرضية لتطور الافكار الدينية ونظم الاعتقاد والايمان، وتحديد أهم الادوار والوظائف التي يقوم بها الدين كمؤسسة من مؤسسات المجتمع.

كانت البداية الاولى في الدراسات الدينية ترجع إلى المساهمات التي قدمتها المنظورات التطورية المنطوية تحت المسلمات العامة للنظرية التطورية "لدروين"، ولأصحاب تيار الانتشار الثقافي والانثروبولوجيا القديمة، والتي تنظر وتتصور أن الدين والافكار الدينية عرفها وعاشها الانسان على مراحل زمنية منذ ان تطور ونضج عقله وتطورت قدراته المعرفية والجسمية وتطورت اللغة عند الإنسان، وحسبهم فان الانسان استطاع ان يبني تصورات عن الوجود وعن معاني حدوث لبعض الظواهر الطبيعية، وكان في كل مرحلة من تطوره يبني تفسيرات ليفهم الغاية من وجوده ومعني حياته.

1. الدين عند أوغوست كونت:

فنظرية أوغوست كونت عن مراحل تطور التفكير البشري والتي يسميها بنظرية المراحل والحالات الثلاث المرحلة والحالة الاولى و يسميها " بالثيولوجيا " اين كان الانسان الأول يلجأ الي التفسيرات الغيبية للظواهر، والمرحلة الثانية يسميها بالميتافيزيقية أين يلجأ فيه الإنسان إلى اعطاء تفسيرات ما وراء الطبيعة، والمرحلة الثالثة تخص المرحلة الوضعية والعلمية وهي اخر محطة تاريخية وصل اليها التفكير البشري وهنا اكتشف الانسان التفكير العلمي السببي، ويعتقد " كونت " أن الانسان كلما اقترب من العلم كلما ابتعد عن القيم الدينية ويراها نوعاً من الخرافات والاهام.¹

أما عند " تايلور " الانثروبولوجي فيعتقد ان الدين مر بمراحل وهي:

- مرحلة الايمان والاعتقاد بعالم الارواح والاشباح وغير المنظور.

- مرحلة الاعتقاد في الالهة المتعددة.

¹ إيان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، ع 244، الكويت، 1999، ص 123.

- مرحلة الاعتقاد في الاله الواحد.

ويعتقد " تايلور " بأن الانسان كلما اقترب من الحضارة والتقدم كلما قل انجذابه للدين وضعفت معتقداته ببطيء.

2. الاتجاه الماركسي:

ان ماركس على الرغم من الأثر الكبير الذي تركه في هذا الميدان لم يدرس الدين بحد ذاته بصورة تفصيلية بل استقى أكثر أفكاره حول هذا الموضوع من كتابات عدة من الفلاسفة والمفكرين في القرن 19 وتأثره بفلسفة " فيورباخ " الذي ينظر للدين على أنه يتكون من أفكار وقيم أنتجها البشر خلال تطورهم الثقافي،

فيعتقد " كارل ماركس " الدين أفيون الشعوب ومخدر للوعي البشري، ويرتبط بمشاعر المنبوذين والمقهورين، وحسبه ان الدين افكار يروجها الدعاة والوعاظ الماجورين من قبل السلطة الحاكمة بهدف تجهيل العامة بقيم القضاء والقدر والحتمية والايمان بالجزاء في الآخرة وقبول اوضاعهم الصعبة، وبصورة اخري يعتقد " ماركس " أن الدين في النهاية ما هو الا انعكاس لتفكير وقيم وايدولوجيا الطبقة البورجوازية، وهو جزء من الدعاية السياسية لسلطة القيصر لزيادة الهيمنة والسطو علي حقوق الكادحين من العمال والفلاحين والفقراء، وزيادة اغترابهم واستلابهم الاجتماعي وقبول الاستسلام الي الواقع المفروض والمقدر.¹

3. الدين عند إميل دوركايم:

اما عند " دوركهايم " فالدين يعني المقدس والمدنس والديني الذي يخص الحياة اليومية، وما يعلو ويسمو عن الحس والواقع فهو مقدس ويرتبط بالدين والاخلاق والقيم والازمنة والاساطير والقصص القديمة، والناس تنجذب الي الدين والايمان في الاوقات الصعبة وفي الازمات وعندما لا يجد الانسان تفسيراً لفهم الظواهر بالتفكير والمنهج العلمي.

وقد خلص " دوركهايم " في اهم كتبه عن " الاشكال والمبادئ الاولى للحياة الدينية " الى فكرة مفادها أن الدين كخلاصة هو وجه آخر من التعبير الرمزي للإنسان من خلال سلطة وقدرة عليا تفوق وتفوت قدرات البشر، بالإضافة الى سلطة التقاليد والاعراف والقوانين والاخلاق والقيم والمعايير الضابطة لسلوكيات الافراد والجماعات للحفاظ على استقرار وتوازن المجتمع، وبهذا يضيف " دوركهايم " على

¹ المرجع السابق، ص 145.

الدين كتجربة الطابع المحافظ لصيانة الاخلاق وقيم الجماعة والتربية، وهذه ميزة وتقليد نظري وفلسفي في النظرية الدوركهائمية والتيار المحافظ الوظيفي.¹

كما رأينا شعر دوركايم بالحاجة للتركيز على التجليات المادية للحقائق الاجتماعية غير المادية، مثلاً القانون في (تقسيم العمل) ومعدلات الانتحار في (الانتحار) لكن في كتابه (الأشكال الأولية للحياة الدينية) شعر دوركايم بالراحة الكافية لمناقشة الحقائق الاجتماعية غير المادية، خاصة الدين، بصورة أكثر مباشرة، في الحقيقة الدين هو الحقيقة الاجتماعية غير المادية المطلقة ودراسته اتاحت له إلقاء المزيد من الضوء على كل نسقه النظري.

بالرغم من أن البحث الوارد في (الأشكال الأولية...) ليس لدوركايم، لكنه شعر أنه من الضروري وضع تفكيره عن الدين في معلومات منشورة. المصدر الأساسي لتلك المعلومات دراسات عن قبيلة الارونتا الأسترالية البدائية، شعر دوركايم أنه من الأهمية دراسة الدين داخل ذلك الإطار البدائي لعدة أسباب.

- أولاً : كان يرى أنه من السهل التعمق في الطبيعة الأساسية للدين في إطار بدائي وليس في مجتمع، حديث الأشكال الدينية في المجتمع البدائي يمكن " توضيحها في كل صفائها وتحتاج فقط إلى مجهود بسيط لعرضها ".

ثانياً: الأنساق الأيدلوجية للأديان البدائية أقل نمواً من الأديان الحديثة ويصاحب ذلك وجود تشويش أقل.

ثالثاً، في حين أن الدين في المجتمع الحديث يأخذ أشكالاً مختلفة ففي المجتمع البدائي نجد " انسجاماً فكرياً وأخلاقياً "، لذلك يمكن دراسة الدين في المجتمع البدائي في أكثر صورته نقاء.

أخيراً بالرغم من أن دوركايم درس الدين البدائي لكن ذلك ليس بسبب اهتمامه بالدين البدائي في نفسه، بل درسه من أجل أن "يصل إلى فهم للطبيعة الدينية للأديان وليوضح بذلك جزءاً مهماً وأساسياً من الإنسانية" أكثر تحديداً، درس دوركايم الدين البدائي ليلقي الضوء على الدين في المجتمع الحديث.

بما أن الدين في المجتمع البدائي منسجم وشامل، يمكننا أن نقول إن ذلك الدين يعادل الضمير الجمعي، أي أن الدين في المجتمع البدائي هو أخلاق جمعية شاملة لكن كلما تطور المجتمع وأصبح أكثر تخصصاً كلما احتل الدين نطاقاً أضيق، وبدل أن يكون ضميراً جمعياً في المجتمع الحديث أصبح الدين أحد التمثيلات الجمعية، وفي حين أنه يعبر عن بعض المشاعر الجمعية فإن مؤسسات أخرى مثل (القانون والعلم) أخذت تعبر عن جوانب أخرى من الأخلاقية الجمعية، بالرغم من أن دوركايم يرى أن الدين

¹ سامية مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع الديني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1988، ص 65.

أصبح يحتل نطاقا ضيقا، لكنه أقر أن معظم إن لم يكن كل التمثلات الجمعية في المجتمع الحديث يرجع أصلها إلى الدين الشامل في المجتمع البدائي.

✓ مفهوم المقدس والمدنس عند دوركايم:

السؤال الأساسي بالنسبة لدوركايم كان عن مصدر الدين الحديث، وبما أن التخصص والغطاء الايدولوجي يجعل من الصعب دراسة جذور الدين في المجتمع الحديث مباشرة، تناول دوركايم الموضوع في إطار المجتمع البدائي، السؤال هو من أين أتى الدين البدائي والحديث؟.

منطلقاً من موقفه المنهجي الأساسي أن الحقيقة الاجتماعية تسببها حقيقة اجتماعية أخرى، خلص دوركايم إلى أن المجتمع هو مصدر الدين، المجتمع من خلال أفراده يخلق الدين من خلال تعريفه لظواهر معينة بأنها مقدسة وأخرى بأنها مدنسة، تلك الجوانب من الواقع الاجتماعي التي تعرف على أنها مقدسة، تلك التي تعزل وتعتبر من المحرمات تكون أساس الدين ما تبقى يعتبر مدنسا تلك هي جوانب الحياة اليومية، العامة، النفعية والدنيوية، المقدس يؤدي إلى سلوك يحتوى على التقديس، الاحترام، الغموض، الرهبة والشرف الاحترام الذي ينسب لظواهر معينة ينقلها من المدنس إلى المقدس¹.

التمييز بين المقدس والمدنس وارتفاع بعض ظواهر الحياة الاجتماعية إلى المستوى المقدس ضروري ولكن ليس كافيا لتطور الدين، ولا بد من توفر ثلاثة ظروف أخرى.

أولاً: يجب أن يتطور نسق من المعتقدات الدينية، والمعتقدات " هي التمثلات التي تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة وعلاقاتها مع بعضها البعض أو مع الأشياء المدنسة ".

ثانياً: من الضروري أيضا وجود نسق من الطقوس " هذه هي قوانين السلوك التي تصف كيف يلزم الإنسان نفسه في وجود الأشياء المقدسة " أخيرا يحتاج الدين إلى كنيسة، أو مجتمع أخلاقي.

التداخل بين المقدس، المعتقدات، الطقوس والكنيسة قاد دوركايم إلى تعريف الدين كما يلي " الدين نسق موحد من المعتقدات والممارسات تجاه الأشياء المقدسة، أي الأشياء التي تعتبر محرمة"².

✓ مفهوم الطوطمية:

¹ المرجع السابق، ص 147.

² نفس المرجع، ص 149.

الطوطمية هي نسق ديني تعتبر فيه بعض الأشياء خاصة الحيوانات والنباتات مقدسة، وترمز للعشيرة، واعتبر دوركايم أن الطوطمية هي الشكل الأكثر بدائية وبساطة للدين ويوازيها شكل بدائي من التنظيم الاجتماعي ذلكم هو العشيرة، إذا تمكن دوركايم من توضيح كيف أن العشيرة هي مصدر الطوطمية، يكون بإمكانه إثبات حجته أن المجتمع هو منبع الدين.¹

فيما يلي عرض لحجة دوركايم " الدين الذي يرتبط مباشرة بالنسق الاجتماعي ويتفوق على كل ما سواه في بساطته يمكن اعتباره أكثر الأديان التي نعرفها أولية. وإذا نجحنا في اكتشاف أصل المعتقدات التي حللناها سابقا، سيكون بإمكاننا في نفس الوقت اكتشاف الأسباب التي تؤدي إلى نشوء المشاعر الدينية لدى الإنسان."

بالرغم من أنه يمكن أن يكون للعشيرة أكثر من طوطم واحد، فإن دوركايم لا يعتبر ذلك سلسلة من المعتقدات المنفصلة وغير المترابطة حول حيوانات أو نباتات محددة، وإنما أعتبرها نسقا مترابطا من الأفكار تعطي العشيرة تمثيلا كاملا عن العالم، ليس النبات أو الحيوان هو مصدر الطوطمية، إنه فقط يمثل ذلك المصدر، الطواطم هي التمثيل المادي للقوى غير المادية فيها، وتلك القوى غير المادية ليست أكثر من الضمير الجمعي للمجتمع " الطوطمية دين، ليس بتلك الحيوانات أو بتصورات الناس، وإنما بتلك القوى المجهولة وغير الشخصية، موجودة في كل تلك الكيانات لكنها ليست ممتزجة بأي منهما، الأفراد يموتون والأجيال تذهب ويأتي غيرها لكن هذه القوى تبقى دائما حية كما هي، إنها تنفخ الحياة في أجيال اليوم مثلما فعلت بأجيال الأمس وكما ستفعل بأجيال الغد".²

✓ الضمير الجمعي :

الضمير الجمعي هو مصدر الدين كما يرى دوركايم، لكن من أين يأتي الضمير الجمعي نفسه؟ في نظر دوركايم إنه يأتي من مصدر واحد هو المجتمع، في الحالة البدائية التي درسها دوركايم يعنى هذا أن العشيرة هي المصدر المطلق للدين، لقد كان دوركايم صريحا حول هذه النقطة عندما ذكر " إن القوى الدينية ليست أكثر من القوى الجمعية والمجهولة للعشيرة " ففي حين أننا ربما نوافق على أن العشيرة هي مصدر الطوطمية يبقى السؤال كيف تخلق العشيرة الطوطمية، تقع الإجابة في مكون أساسي من مستودع مفاهيم دوركايم وإن كان لم يناقش بشكل كاف، ذلك هو الضمير الجمعي.

مفهوم الضمير الجمعي لم يوضح جيدا في أي من أعمال دوركايم بما في ذلك (الأشكال الأولية للحياة الدينية) ويبدو أنه كان في ذهنه وبشكل عام اللحظات الكبرى في التاريخ التي أمكن فيها للجماعة تحقيق

¹ المرجع السابق، ص 162.

² نفس المرجع، ص 167.

مستويات عليا من الرقى والتي تقود بدورها إلى تغيرات كبرى في بنية المجتمع، الإصلاح الديني وعصر النهضة في أوروبا نماذج لفترات تاريخية كان فيها للانفعال الجمعي أثر مشهود على بنية المجتمع، ذكر دوركايم أن الدين ينشأ من الانفعال الجمعي " إنه وسط هذه البيئات الاجتماعية المنفعلة ومن هذا الانفعال نفسه يبدو أن الدين يولد " وخلال فترات الانفعال الجمعي يخلق أفراد العشيرة الطوطمية، باختصار الطوطمية هي التمثيل الرمزي للضمير الجمعي والضمير الجمعي بدوره يأتي من المجتمع لذلك فإن المجتمع هو مصدر الضمير الجمعي والطوطمية.¹

4. دور القيم الدينية في ظهور الرأس مالية عند ماكس فيبر:

قاد ماكس فيبر مجموعة من الدراسات يمكن أن تدخل تحت علم الاجتماع الديني، لعل من أهمها تلك الدراسة التي حاول فيها أن يناهض الفكر الماركسي في أساسه وجوهره، والتي سبقت الإشارة إليه تحت عنوان " الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية".²

ثم قام فيبر بعد ذلك بدراسة مقارنة تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، من جهة والاتجاهات الدينية من جهة أخرى، وعن الدور الذي يلعبه من خلال دراسات فيبر، فإن ريمون آرون يقول: " إن نقطة الانطلاق في دراسات فيبر علم الاجتماع الديني هما في اعتقاده بأن فهم أي اتجاه يحتاج من الباحث إلى إدراك تصور الفاعل الموجود بأكمله". إذ في ضوء هذا الاعتقاد حدد فيبر التساؤل التالي لكي يجيب عنه في دراسته: إلى أي مدى تؤثر التصورات الدينية عن العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة المجتمعات؟ ويقول (Arno) 1970 إن ماكس فيبر في دراسته لتأثير الأخلاق البروتستانتية على الرأسمالية، كان يريد أن يؤكد قضيتين هما:

✓ أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات يفهم في إطار تصورهم العام للوجود، وتعتبر المعتقدات الدينية وتفسيرها إحدى هذه التصورات للعالم، والتي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات بما في ذلك السلوك الاقتصادي.

✓ إن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي ومن ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك.

ففيبر إذن، لم يعالج الجوانب المختلفة للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية، بل اكتفى بالدراسة الأخلاقية الاقتصادية للدين، ويقصد منها ما يؤكد عليه الدين من قيم اقتصادية.

مؤلف "الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية" من أهم الأعمال عند فيبر:

¹ المرجع السابق، ص 171.

² إيان كريب، المرجع السابق، ص 156.

يعد مؤلف الأخلاق البروتستانتية، من أشهر مؤلفات السوسيولوجيا الدينية عند ماكس فيبر. لذا نجد عدد لا يستهان به من المؤلفين، أثاروا حوله مجموعة من المناقشات والاعتراضات والمجادلات.

ويعد جوليان فروند في كتابه "سوسيولوجيا ماكس فيبر" من بين هؤلاء المؤلفين الذين اهتموا بتحليل أفكار ومواقف "الأخلاق البروتستانتية" الذي يوضح فيه فيبر أنه لا ينبغي إعطاء العلاقة السببية بين الرأسمالية والبروتستانتية معنى علاقة آلية. فالذهنية البروتستانتية كانت أحد مصادر عقلنة الحياة التي أسهمت في تكوين ما يسميه "الروح الرأسمالية"، إذ لم تكن السبب الوحيد أو حتى الكافي للرأسمالية نفسها.

وننتقل إلى خلفية الأفكار التي أسهمت في تكوين الروح الرأسمالية، إذ يجد فيبر هذه الخلفية عند بعض الطبقات البروتستانتية الكالفينية (الهولندية خاصة) والتقوية والميثودية والمعمدانية، التي يتميز نهجها الحياتي بتكشف يمكن التدليل عليه بكلمة "التطهيرية الغامضة"¹.

وما يهم فيبر هي الحوافز النفسية النابعة من المعتقدات والممارسات الدينية التي أثرت على الواقع لتكوين "الروح الرأسمالية".

وما يمكن أن نخلص إليه من هذا النتاج الفيبري، وهو أن فيبر لم يحصر السوسيولوجيا الدينية في تفسير ضيق للظاهرة الدينية من أجلها بالذات، وإنما حاول أن يوضح كيف يوجه السلوك الديني بقية النشاطات الإنسانية، اقتصادية، سياسية، قانونية... وكيف يحدد مواقف ذو أصول دينية سلوكا أخلاقيا يطبق بدوره في الشؤون الدنيوية.

لقد كان ماكس فيبر أشهر من ناقش العلاقة بين القيم الدينية والنشاط الاقتصادي، فأكد الأهمية البالغة للدين باعتباره عاملا مدعما للنشاط الاقتصادي الرشيد ومشجعا. فقد أدت البروتستانتية بالإنسان إلى ممارسة سيطرة عقلية على جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وذلك على العكس من الديانات الشرقية الكبرى، وبخاصة الصينية القديمة والهندية، فهي لم تهئ للإنسان بيئة صالحة لتدعيم النشاط الاقتصادي، في حين لم يحاول فيبر أن ينظر إلى العلاقة بين الدين والاقتصاد باعتبارها علاقة متميزة، إلا أن تحليله يقابل تحليل كارل ماكس الذي نظر إلى المعتقدات الدينية على أنها عنصر في البناء الفوقي، وبالتالي تعتمد إلى حد بعيد على القوى الاقتصادية في المجتمع.

وفي المقابل ثمة نقاد آخرون لم يعترضوا على وجود بعض الصلات البروتستانتية وتطور الرأسمالية وذلك بافتراضهم لتفسيرات مختلفة لهذا التطور، واستدلوا على وجهة نظرهم بوجود العديد من الأمثلة

¹ المرجع السابق، 142.

المعاصرة التي تظهر الزهد والتكشف الديني ذا الأصل الديني يمكن بالفعل أن يكون على صلة مع الروح العامة للمقاول صاحب المشروع الرأسمالي.

إلا أننا نجد كاترين كوليوثيلين قد أظهرت بشكل مقنع أن التعارض الكبير بين عالم الماضي الذي كانت فيه التمثيلات، وكذلك المؤسسات بواسطة الدين، وبين اليوم الذي تحرر من مثل هذا الاعتقاد، لا ينصف التحليلات الفيبيرية التي تقاوم التفسيرات التي تستخدم المصطلحات الدنيوية، إذ أن الأديان الأخلاقية، حتى ولو كانت قد ساهمت في هذه العملية، لم يعد لها تأثير على الرأسمالية، كما أنها قد فقدت فعاليتها الاجتماعية.

فمن خلال هذا التحليل، يتضح على أن ماكس فيبر يؤكد على أن تطور وخصوصية الكشف البروتستانتية، قد تأثرا من ناحيتهم بكل الظروف الثقافية الاجتماعية، وخصوصا الظروف الاقتصادية.

وكمعاصرلـ "دوركهائم" لا يتفق "ماكس فيبر" مع هذا الطرح المحافظ للدين، ولا مع النزعة الثورية والراдикаلية لموقف "كارل ماركس" من الدين، بل ينظر الى الدين على انه لا يعبر بالضرورة على الافكار السائدة في الواقع كما يدعي ماركس، ولا على الاتجاهات المحافظة للأفراد في المجتمع كما يعتقد "دوركهائم" بل الامر يتجاوز حتى النظر الى الدين على انه يعبر عن الازمة الوحيدة والاحباطات كالحروب والمجاعة والموت والمرض، ولكنه يرتبط بالتأثيرات التي تمارسها المعتقدات الدينية على الاختيارات والمواقف اليومية التي يقوم بها الافراد والجماعات في المجتمع، فلو لم تكن هناك تفسيرات مقبولة للأمور الدنيوية من قبل المذهب البروتستانتية لما تطورت الرأسمالية كروح اخلاقية قبل ان تتحول الى اختيارات اقتصادية ومنهج سياسي يبحث عن القيمة والمنفعة.¹

اما عند "فرويد وانصاره" فيصفون الدين بانه رد فعل واستجابة نفسية عندما لا توجد مثيرات او مسببات لظواهر معينة لا يوجد لها تفسير منطقي وهي كلها مصدرها الحياة اللاشعورية او اللاوعي الجمعي القديم للإنسان ولمكبوتات.

¹ Weber (M.), L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme ; précédé de Remarque préliminaire au recueil d'études des [sic] sociologie de la religion, I ; et suivi de Les sectes protestantes et l'esprit du capitalisme, traduction de l'allemand, introduction et notes par Isabelle Kalinowski, Paris : Flammarion, 2000, p394.

كما يوجد اتجاه آخر يرى في الدين انه يرتبط بالسحر خاصة في المجتمعات البدائية التي تعتقد في قوة السحر الذي يؤثر في قوى الخير والشر وفي التأثير على الواقع وعلى الظواهر، فالسحر مصدر لقوة الالهة حسب " مالمينوفسكي " ¹.

حسب هذه الرؤى والمنظورات للدين يتجلى ان له دورا ووظيفة هامتين لا يمكن تجاوزهما على الرغم من انتشار الافكار اللادينية secular vision التي حاولت حصر وتقليل من دور الدين في المجتمعات الحديثة، التي بدا يضعف فيها المعتقد الديني بسبب التقدم الحضاري والتغير الاجتماعي والعولمة والنت وظهور المجتمعات الرقمية وانتشار بعض الافكار الجديدة الداعية الي نبذ الدين والتقليل من أهميته.

وحسب علماء الاجتماع الديني يمكن حصر وظائف وادوار الدين فيما يلي:

- يمنح الدين المساعدة والرعاية الذاتية للإنسان وهو مصدر للشعور بالأمان والسلام والطمأنينة والهدوء النفسي والراحة خاصة في الاوقات الصعبة ووقت الازمات.

- الدين يعزز الروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع وإدماج كل عنصر في المجتمع.

- يعتبر الدين مصدرا للضبط والمراقبة الاجتماعية من أجل المحافظة على قيم ومعايير المجتمع لتجنب حالات عدم استقرار وتوازن المجتمع.

- وهو بمثابة الاسمنت المسلح للمجتمع كما يراه " دوركهائم " وهو الذي يحافظ على الهيكل العام للنظام الاجتماعي مع النظم الاخرى كما يتصور " تالكوت بارسونز " رائد الوظيفة في الولايات المتحدة الامريكية، هو فعل إنساني مواجه ومراقب بواسطة معايير زوده بها النظام الاجتماعي فالنظام الثقافي مثلا يوفر توجيهات للفعل في شكل معتقدات وقيم ومنظومة من المعاني، فالمعايير التي توجه الفعل ليست مجرد مقاييس معزولة عن السلوك، بل إنها محددة ومندمجة بواسطة القيم والمعتقدات التي يوفرها النظام الثقافي.

5. الدين من منظور تالكوت بارسونز:

كان بارسونز متأثر بنظرية كانط الأخلاقية وبوظيفية دوركايم وبالسوسيولوجية التفهيمية عند فيبر، حتى أنه عمل على ترجمة كتاب الخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية وقدم له بمقدمة يشرح فيها علاقة الدين بالاقتصاد في الحياة الاجتماعية، وأكثر من ذلك لم يذهب بارسونز في تأكيد فرضيات الجيل الأول

² سامية مصطفى الخشاب، المرجع السابق، ص 76.

من السوسيولوجيين الذين اعتبروا تراجع الدين في المجتمعات المعاصرة بل انه عمل على التأكيد على أهميته في الأنساق الاجتماعية والفعل الاجتماعي فالدين موجه لكلا المجالين.¹

6. الدين من منظور بيير بورديو:

لا يمكن فهم البراد يغم الجديد الذي أبدعه بورديو في مقاربة الحقل الديني دونما الرجوع للخلفيات الاستيمولوجية التي تفاعلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى و قبيل الحرب العالمية الثانية ذلك أن أزمة التفسير التي واجهت العلوم الاجتماعية جعلت البعض يشكك في علمية هذه العلوم و كان اسهام بورديو أساسيا إذ أنه عمل على ازالة التعارض بين الفينومينولوجيا الاجتماعية و الفيزياء و كان يعتبر أنه للكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية لا بد من تجاوز النزعة الموضوعية و أيضا النزعة الذاتية كنظريات الفعل و علم الاجتماع التأويلي و التحليل اللغوي.²

إذا ما بالغنا في تقدير أهمية هذا المقترح التفسيري الذي سماه بورديو الهابيتوس و لعنا من خلال دراسة السلوك الديني، ففي المستوى الأول يقع هابيتوس الفرد ، ثم في المستوى الثاني هابيتوس الجماعة المحلية المحيطة بالفرد بداية من الأسرة الجماعة و جماعة الأقارب و الجيران الأصدقاء، و المستوى الثالث هو هابيتوس المجال حيث يرى بورديو أن لكل مجال من المجالات القائمة (السياسي و الاقتصادي و الثقافي) في المجتمع الهابيتوس الخاص هو عبارة عن مجموعة المهارات و الأساليب الفنية و المرجعيات ونظم المعتقدات الواجب توافرها في عضو هذا المجال دون غيره من المجالات.

لا يمكننا أن ندعي أننا قدمنا رؤية متكاملة عن سوسيولوجيا الأديان بقدر ما حولنا أن نتلمس بعض المعالم الكبرى لهذا التخصص المعرفي وقد عملنا قدر المستطاع أن نلقي الضوء على أهم الأطروحات والنظريات التي ناقشت الظاهرة الدينية من وجهة نظر سوسيولوجية.

¹ إيان كريب، المرجع السابق، ص 178.

² نفس المرجع، ص 189.

خاتمة:

تعتبر هذه المطبوعة محطة نظرية مهمة تمكن الطالب من التطرق والتعرف على موضوع المؤسسات في السيسولوجيا، وإلمام بالوظيفة والدور الذين تقوم بهما هذه المؤسسات، إلى جانب تسليط الضوء على أشكال المؤسسات الاجتماعية والمراحل التاريخية التي مرت بها في تطورها التنظيمي والتنظيري، والتي تتمثل في مؤسسة الأسرة، المؤسسة الدينية كمؤسسة اجتماعية والتربية والمدرسة، مؤسسة السياسة والحكم ومؤسسة الاقتصاد.

قائمة المراجع:

مراجع باللغة عربية:

- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨.
- ¹ إيان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، ع 244، الكويت، 1999.
- إجلال حلمي: "محاضرات في علم الاجتماع العائلي"، 1987.
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1982.
- أحمد إبراهيم علي الوتري: النظام الفيدرالي بين النظرية والتطبيق، مكتبة التفسير، أربيل، 2008.
- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1981.
- انتوني غدنز، (2005)، علم الاجتماع، بيروت، لبنان : المنظمة العربية للترجمة، 2005.
- أمل عبد العزيز محمود، قاموس العربي الشامل ، ط1 دار الراتب الجامعية بيروت , 1997.
- إمانويل كانط، نقد العقل الخالص، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.
- المرسي جمال الدين محمد وادريس، ثابت عبد الرحمن: السلوك التنظيمي، نظريات و نماذج و تطبيق علمي لإدارة السلوك في المنظمة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2002.
- أنجلز: أصل العائلة الملكية الخاصة , الدولة , دار التقدم , موسكو.
- بودون.ف.بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- ثروت أنيس الأسيوطي: " نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين" دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .
- ثناء الخولي: "الزواج والعلاقات الأسرية" , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 1985.
- حسين عبد الحميد رشوان: "علم اجتماع التنظيم"، مؤسسة شباب الجماعة، مصر، 2004م.
- حسن البلاوي، التربية وبنية التفاوت الاجتماعي الطبقي : دراسة في فكر بيير بورديو.
- جبلي، عبد الرزاق: الاتجاهات الأساسية نظرية في علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة، دار المعرفة الجامعية، 2005.
- جامع، محمد نبيل، علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2009.
- جورج غورفيتش: الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

حميد الساعدي: مبادئ القانون الدستوري، وتطور النظام السياسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، 1990.

مراجع باللغة العربية:

- سامية مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع الديني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1988.
- سليمان حنفي محمود: وظائف الإدارة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفتي، دت.
- ثروت أنيس الأسيوطي: " نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين " دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- صالح العلي صالح، أمينة الشيخ سليمان أحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية.
- صالح بلحاج: أبحاث وأراء حول مسألة التحول الديمقراطي. ط1، الجزائر، مخبر دراسات وتحليل السياسات العامة في الجزائر، 2012.
- صموئيل بشارة : " التغير الاجتماعي لنظام الأسرة "، الإسكندرية.
- عمر صخري ، اقتصاد المؤسسة ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 .
- عبد الحميد متولي: الأنظمة السياسية والمبادئ الدستورية العامة، القاهرة، 2007.
- على الشرقاوي ، التنظيم، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، دون سنة.
- عبد السميع سيد أحمد: دراسات في علم الاجتماع التربوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.
- علي السيد الشخبي: علم اجتماع التربية المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002.
- محمد عمر مولود: الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي (العراق كنموذج)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009.
- محمد البني، الدين والحضارة الإنسانية، مكتبة الشركة الجزائرية.
- الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، 1995م، بيروت.
- محمد المهدي بن عيسى: "علم اجتماع التنظيم: من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة، ط1، مطبعة impaplast ، الجزائر، 2010م.
- مصطفى خلف عبد الجواد، نظرية علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، دار المسيرة، 2007.

محمد سعيد أوكيل، وآخرون، **استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية تسيير واتخاذ القرارات في إطار المنظور النظامي**، جامعة الجزائر، 1994.

السيد الحسيني، **مداخل لدراسة التنظيمات المعاصرة**، مصر، 1992.

محمد سعيد أوكيل، **وظائف ونشاطات المؤسسة الصناعية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد المهدي بن عيسى: "علم اجتماع التنظيم (من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة)"، ط 1، مطبعة impaplast، الجزائر، 2010.

محمد علي محمد، **علم الاجتماع التنظيم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

محمد، محمد علي. **دراسات في علم الاجتماع السياسي**، دار الجامعات المصرية، القاهرة، 1978.

مهدي محمد القصاص، **علم الاجتماع الديني**، المنصورة : كلية الآداب جامعة المنصورة، 2008.

مراجع باللغة الأجنبية:

- Bietone alain et les autre : **lexique de sociologie**, OSB ,4eme edition, Italie.
- BOURDIEU (P), Jean-Claude PASSERON : **La reproduction : Eléments pour une théorie du système d'enseignement**, Editions de Minuit, Paris, 1970.
- BOUDOUN (R): **L'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles**, Editions A. Colin, Paris.1973 .
- Bottomore and Rubel, A Pelican Book, Middlesex, England, 1967.
- C.Ballé , **la socologie des organisation, paris,puf- que sais je ? 89**
- Christian Baudelot, Roger Establet, L'élitisme républicain. L'école française à l'épreuve des comparaisons internationales**, Seuil, coll. « La république des idées », 2009.
- Durkheim E. (1969), **L'évolution pédagogique en France**, 2è Ed. PUF, Paris.
- DURKHEIM (E): **Education et sociologie**, Editions P.U.F, Paris. 1973.
- Jean-Louis Auduc**, « **Sauvons les garçons !** », Paris, Descartes et Cie, novembre 2009.
- Lagroye Jaques & Offerlé Michel (Dir), **Sociologie de l'institution**, Paris, Berlin, 2010, p 68.

Machiavelli, N. **The Prince**, Penguin Classics, London, 1970.

Marx, K. **Selected Writings in Sociology and Social Philosophy**, Edited by

Max Weber, **Economie et société Organisation et puissances de la société dans leur rapport avec l'économie** T2 , pocket, 27 janvier 2003.

Michel Crozier et E.Friedberg , **L'acteur et le système**

Sainsaulieu. R, **Identité Au Travail**, Presse de la fondation nationale des sciences politiques ,Paris, 1988.

Sainsaulieu R. (1987), **Sociologie de l'organisation et de l'entreprise**. Ed. Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques & Dalloz, Paris.

Stéphane Clerget, Nos **garçons en danger** ! : Editions Flammarion, 18 févr. 2015.

Paul Ricoeur, **Hegel et Husserl sur lintersubjectivité**, dans: Paul Ricoeur, Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II, collection Esprit (Paris: Ed. Du Seuil, 1986).